أحببت فتاة

فالتر تروبيش

أحببت فتاة

مراسلات خاصة بين شاب وشابة
الرفيقين وراعيها

جمعها

فاتح درويش

نقلها الى العربية

يوسف قسطه ب.ح.

أحببت فتاة

مراسلات خاصة بين شاب وشابة
افريقيين وراعيها

جمعها

فالتر روبيش

نقلها الى العربية

يوسف قسطه ب.ع.

« J'ai aimé une fille »
Copyright 1962 by Walter Trobisch
All rights reserved

•

الطبعة الاولى : ١٩٧٠
الطبعة الثانية : ١٩٧٣
الطبعة الثالثة : ١٩٧٩

حقوق الطبع باللغة العربية محفوظة للناشر

دار منشورات النفير

ص.ب : ٥٠٣٩ – بيروت، لبنان

أحببت فتاة

« Tous droits sur cette édition »
Copyright 1982 by Dâr al-Talî'ah
All rights reserved

الطبعة الأولى : ١٩٧٠
الطبعة الثانية : ١٩٧٣
الطبعة الثالثة : ١٩٧٨

قاموس الكتاب المقدس

مؤلف تحت إشراف لجنة من الآباء عن اللغة الفرنسية بمعونة كثيرين

دار منشورات النور

ص.ب : ٥٠٣٩ – بيروت، لبنان

مقدمة

ما هذه الا مجموعة من الرسائل الشخصية المتبادلة التي كان من المفروض ان تبقى طيّ الكتمان . ومع انني ترددت في نشرها لكن الشعور بالواجب دفعني الى ذلك . والسبب عائد الى إلحاح صديقي ، ايماناً منه ان ما افاده قد يفيد غيره، والى كون رسالته الاخيرة تهمّ الجميع وليس انا وحدي .

لذلك قمت ، بموافقة صديقي ، بجمع الرسائل كما هي دون تبديل او تعديل — حتى المستهجن منها والمحرج — ما عدا رسالة واحدة لخطيبته آثر عدم نشرها نظراً لاهميتها لديه. وعدم ورودها هنا لهو شهادة صامتة على محبته الصادقة لها

اما في ما يتعلق بالردود التي وجهتها اليه ، فيجب ان اصرّح ان اليسير صدر عني والباقي استقيته من مصادر قيّمة اخرى. ففي كثير من الاحيان كنت ، قصداً او عفواً ، اقتبس منها مباشرة حسب مفهومها العام . وفي بعض الحالات كنت استعمل الاقتباس الحرفي دون استخدام علامات الاقتباس لاني لم اشأ ان اشوه الطابع الشخصي لردودي .

القس فالتر تروبيش

ثلثة

م... ٨ كانون الثاني

سيدي ،

هذه الرسالة تقوم مقامي ، لاني اخجل جداً ان آتي لمقابلتك شخصياً . فمن جهة ، لا مال لديّ لأدفع نفقات السفر اليك . ومن جهة ثانية ، لا وظيفة لي لأني تركت وظيفة التعليم .

يوم الجمعة الفائت احببت فتاة ، او على حد تعبيرك زانيت فتاة — على الاقل هذه هي التسمية التي يستعملها الاوروبيون والكنيسة ايضاً. غير ان هذه الفتاة ليست متزوجة ولا علاقة لها بأحد . وعليه لست ادري ان كنت بعملي هذا قد اسأت الى احد . اضف انني انا ايضاً عازب وليس في نيتي الزواج بها ، لا سيما وأنني لا اعرف عنها شيئاً حتى اسمها . لذلك اعتقد ان الوصية «لا تزنِ» لا تنطبق على حالتي . وهذا ما يجعلني اتساءل عن السبب الذي حدا الكنيسة لأن تفرزني عن شركتها وتضعني تحت التأديب مدة ستة اشهر .

لقد أفشى احد تلامذتي امري الى راعي كنيستي ولست اعلم الآن اين اتوجّه وماذا افعل .

سيدي ، أنت عمّدتني وعلّمتني في المدرسة . وغالباً ما كنت تسدي اليّ النصح والارشاد . ثم انك تعرف كيف صرت مؤمناً متجدداً . فأنت أعْرَفُ بي من ابي . غير انني آسف جداً لاني احزنتك . انما اقول لك الصراحة انني لا اشعر بنفسي مذنباً وأؤكد لك اني ما زلت متجدداً .

لست اتجرأ ان اصارح احداً سواك بما يجول في خاطري حتى ولو اغصبَتْك مصارحتي . أليست رغبات جسدي واعضائي للاستعمال؟

أليس من الواجب استخدام الأشياء الموجـودة ؟ فلماذا نخطىء اذن ان نحن استعملناها؟ بما ان الجميع يدينون فعلتي هذه فلست اتوقع منك جواباً . لذا اكتفي بهذا المقدار اذ ليس لي ما اقوله بعد .

المخلص

التعيس ف.

ب... ١٧ كانون الثاني

عزيزي ف. ،

استلمت رسالتك المؤرخة ٨ كانون الثاني ، واني جد ممتنّ لانك اطلعتني على ما حدث قبل ان اسمع به من مصدر آخر . لا شك اني حزين، ولا سيما لأنك حصلت على وظيفتك كمعلم بناءً على توصية مني. الا ان صراحتك لم تغضبني ، بل على العكس سرّتني لان ذلك يفسح لي مجال مساعدتك ولو قليلاً. فسأحاول بكل تأكيد ان اجيب عن اسئلتك بنفس الصراحة التي خاطبتني بها .

لنضع الآن قضيتك جانباً سواء سميناها زنى بالمعنى الصحيح او لا . انك محق في قولك ان الجنس ليس خطية . فالافكار والمشاعر التي تحس بها عند رؤيتك فتاة جميلة ليست خطية بحد ذاتها . ويصح القول نفسه على الشعور بالميل او الانجذاب اليها . فأنت لا تستطيع منع الرغبات من مهاجمتك كما انـك لا تستطيع ان تمنع الطيور من

التحليق فوق رأسك . لكنك ولا شك تقدر ان تمنعها من ان تعشش في رأسك ...

نعم ، ان الرغبات الجنسية هي من صنع الله . بل هي هبة من هبات الله الثمينة لـك كشاب . انما وجود الشيء لا يبرر اشباعه كيفما اتفق .

ما رأيك بولد يقف امام دكان لحـام في احدى المدن الكـبرى ويخاطب نفسه بما يلي : ان هذا اللحم يفتح شهيتي ويشعرني بمزيد من الجوع ، واذاً فهو لي ويجب ان أتلذّذ به . فسأحطم الواجهـة وأتناول منه ما اريد .

انك تسألني : « ألا يجب ان نستغمل الاشياء الموجودة؟ » والجواب هو نعم ، ولكن بشرط ان يتم كل شيء في وقته ومكانه اللائق به . تصور مثلاً صديقاً لـك اصبح شرطياً وحمل المسدس لأول مرة ثم قال في نفسه : « انا لم اطلب هـــذا المسدس من احد . انه وهب لي ؛ ولذلـك يجب ان استعمله ، او بتعبير آخر يجب ان اقتل به احداً ما » .

لا ، ليس له الحق في عمل ذلك . فان كان المسدس قد أعطي له فهو مسؤول عن كيفية استعماله . هكـذا الجنس ايضاً . انه وجد للاستعمال وانما في موضعه الخاص بحيث يتفق وخطة الله لنا . والغريزة الجنسية ، ضمن هذه الخطة ، صالحة ؛ بل هي مصـدر قوة للحياة واتحاد بين مخلوقين . عدا ذلـك تصبح هذه الغريزة مصدر انقسام وخصام وانحراف وموت . فالمبرر الوحيد للاتحاد الجنسي هو كونه تعبيراً عن محبة صادقة .

لفتت نظري عبارة وردت في رسالتك تقول فيها: «احببت فتاة». لا يا عزيزي . انت لم تحب تلك الفتاة بل زانيتها . وهذان شيئان متباينان . انك اختبرت الجنس ولكنك لم تختبر المحبة المخلصة التي لا تطلب سعـــادة نفسها بل سعادة الشريك الآخر . فأنا اعلم تماماً ما يعنيه الشاب في عصرنا الحاضر حـين يخاطب فتاة بقوله : « احبكِ .» انه يعني ان يقول : « اني اريد شيئاً – ليس لكِ بل منكِ . اريـده حالاً دونما تأخير . فأنا لا استطيع الانتظار . ولا يهمني ما يحدث فيما بعد بل تهمني اللحظة التي انا فيها . فهلمي اشبعي رغباتي اذ لستِ سوى وسيلة لغايتي . انني اريدك الآن .»

إلا ان هذه ليست محبة بل العكس تماماً . انها انانية . فعوض ان تقول : « احببت فتاة » كان الاجدر بك ان تقول : « احببت ذاتي ليس إلا فاستخدمت فتاة لهذه الغاية .»

دعني اخبرك ما يعنيه الفتى الشريف عندما يقول لفتاة: «احبك». هو يعني : «احبك انت دون سواك ولن تكتمل شخصيتي الا بك . فسأملكك على قلبي وأهبك كل ما عندي . ولاجلك انا مستعد ان اتخلى عن كل شيء بما في ذلك ذاتي وممتلكاتي . سأعيش لك واعمل في سبيلـك وها انا في انتظارك . أعدك بأن اكون صبوراً ولطيفاً وشريفاً ومخلصاً . اني على استعداد لأحميك وأدافع عنك واحفظك من كل شرّ . ومستعد كذلك لأن اجعلـــك شريكة لي في مالي وفكري وقلبي وجسدي . ولن اقوم بعمل بمعزل عنك لأني احب ان اكون دائماً الى جانبك .»

أتلاحظ الآن البون الشاسع بين اختبارك واختبار المحبة الصادقة؟

فأنت لا تعرف من الفتاة شيئاً حتى اسمها . كما انك لا تعرف شيئاً عن ماضيها او مستقبلها . ولست تعلم ما اصاب قلبها حين ارتكبت فعلتك . وما ادراك ؟ فقد تكون الفتاة حاملاً وهناك الطامة الكبرى .

على نقيض ذلك ، المحبة الصادقة مقرونة دائماً بالمسؤولية . أي ان الرجل يأخذ على عاتقه مسؤولية زوجته ويكون كلاهما مسؤولين امام الله . من تلك اللحظة فصاعداً لا يعود الرجل يقول « انا » بل « انتِ » ، وكلاهما لا يقولان « انا وانت » بل « نحن » . فالمحبة المخلصة لا تسقط ابداً . انها تتطلب امانة وثباتاً ، وبكلمات اخرى ، انها لا تتحقق الا بالزواج . ولهذا يتوجب على الشاب ألا يصارح فتاة بقوله « احبكِ » ما لم يكن ينوي الزواج بها .

هناك (في الزواج) فقط المكان اللائق لرغبتك الجنسية التي يجب ان تكون تعبيراً عن محبتك كزوج . عدا ذلك فأنت تعدّ نفسك لزواج لن يعرف للسعادة معنى .

اختم رسالتي هنا ، واعتقد ان فيها ما يكفي لاثارة تفكيرك بهذه الامور . تأكد من صداقتي لك ومن صلواتي لأجلك ، راجياً ان تكون رسالتك القادمة لي بنفس الصراحة .

المخلص

ت.

م... ٢٥ كانون الثاني

سيدي العزيز ،

وصلتني رسالتك واشكرك عليها جداً . كم انا ممتنّ لك لأنك لم تتخلّ عن صداقتي بسبب سلوكي . فمع انك توجه اليّ انتقاداتك ، لكنك في الوقت ذاته تقدم اليّ نصائحك وارشاداتك . اني مغتبط جداً لأني وجدت فيك رجلاً استطيع ان اكتب اليه بحرية وصراحة ، حتى ولو انني لم أفهم كل ما قلته لي . انما عبارتك الاخيرة كان لها أعمق الأثر في نفسي .

سيدي ! ان كان ثمة دافع حقيقي لعملي فهو بالتأكيد اعداد نفسي لزواج سعيد . لكنك قلت لي العكس تماماً . اخبرني كيف يستطيع المرء ان يعلّم دون ان يتعلم ؟ وكيف يستطيع ان يتعلّم دون ان يختبر ؟ ألم نفعل الشيء ذاته في صفّي الكيمياء والفيزياء ؟

عندنا مثل يقول : « قبل ان تذهب الى الصيد إبْرِ سهمك . » فما المنفعة من الزواج ان أحس المرء بالعجز والضعف لسبب عدم تدريب طاقات الجسد ؟ أليس من خطر على اعضائنا ان بقِيَتْ بدون استعمال ؟

ارجو ان تفهم ما اعني . وليتك تجد وقتاً لمكاتبتي مرة ثانية .

ف.

ب... ٣ شباط

عزيزي ف.،

اشكرك على متابعتك الكتابة بصدق واخلاص . ما هذا في نظري سوى برهان ثقتك فيّ .

هنالك تشبيه في الكتاب المقدس هذا نصه : «المحبة قوية كالموت» (نشيد الانشاد ٨:٦) . فكما انك لا تقدر ان تختبر الموت بمجرد ان تنام نوماً عميقاً، هكذا لا تقدر أن تعرف معنى المحبة بمجرد اختبارك الجنس . والسبب يعود الى ان الحالتين متباينتان كلياً .

لنأخذ تشبيهاً او مثلاً آخر: لنفرض انك ترغب في التدرب على الهبوط بالمظلة (الباراشوت) فلربما تظن ان القفز من على سطح او من على شجرة عالية يفي بالمطلوب ، غير ان عشرة امتار او اكثر قليلاً لا تكفي لانفتاح المظلة وهكذا تكسر عنقك . الطريقة المفضلة لتجربة المظلة هي القفز من الطائرة. وعلى المنوال نفسه انت لا تقدر ان تختبر الحب خارج الزواج ، لانه وضع لهذه الغاية فقط .

يتم العمل الجنسي في الزواج في ظروف تختلف كلياً عما هو عليه خارج الزواج. فلا هناك عجلة، ولا خوف من فضيحة او وشاية او مراقبة ، ثم لا خوف من حمل غير شرعي ، وفوق الكل يكون للزوجين متسع من الوقت ليعتاد الواحد منهما على الآخر ويقوّم اخطاءه . عندئذ يشعر المرء ان المحبة الجنسية الصافية محاطة بمحبة اوسع تشمل جميع مرافق الحياة .

في مقدور الفرد، قبل الزواج ، ان يخضع لفحص طبي للتثبت من قواه الجنسية . على ان هذا ليس هو المهم . المهم هو التكافؤ النفسي،

اذ يلتقي قلبا الشريكين وعقلاهما . فان وُجدت بعض العقبات الجنسية ، فلا يكون السبب بالضرورة جسدياً . فان العقبات الجسدية أو الصحية يمكن اكتشافها قبل الزواج بالفحوصات الطبية . اما العلة الموجودة بكثرة فهي انعدام الانسجام النفساني لا يتناغم القلبان والعقلان .

عندما تبدأ فرقة موسيقية بالعزف فانها تبدأ عادة بالكمانات والقيثارات ثم تتبعها الابواق والطبول. فاذا بُدىء بالأبواق والطبول الضاجّة يصبح من العسير سماع صوت الكمانات والقيثارات . هكذا هي الحال في الزواج فان تناغم القلوب والعقول يوازي تناغم الآلات الموسيقية الاولى . وبعد ذلك تشرع طبول الجنس وابواقه بالعزف .

الشيء الذي يحتاج الى تدريب قبل الزواج هو الانسجام الروحي. اما العلاقات الجنسية فتعدمك قواك —ليس قواك الجسمية فحسب— بل ايضاً قدرتك على الحب من القلب والنفس . فما عليك ان تخشاه ليس التخلف الجنسي بل التخلف القلبي . فان العمل الجنسي بمعزل عن المحبة هو تقليد للعمل الأصيل ويحصر الذات في نطاق الغريزة البهيمية . وفي هذه الحالة يضرب المرء صفحاً عن العامل الأساسي الجازم الا وهو جمع الأنت والأنا ليكونا واحداً دونما انفصال .

ان المغامرات الجنسية قبل الزواج قد توقظ فيك حب التنويع والرغبة في تعدد الزوجات مما يشكل خطراً على زواجك المقبل منذ الآن . فانه من السهل ان تنجرف بالعادات الخاطئة التي قد تجد صعوبة كبرى في التخلص منها ، وقد تورطك في ما انت

بغنى عنه . مثال على ذلك العجز الجنسي الذي يقوّض سعادة الصرح الزوجي .

في معظم الحالات التي أُستدعى فيها كراعٍ لفضّ مشكلة زوجية استطيع ان اعود بأصل المشكلة الى نوع الحياة التي عاشها الزوجان قبل الاقتران . فالشاب الذي لم يعتد ضبط النفس قبل القران لن يستطيعه بعد القران. ولذلك كانت السيطرة على الذات امراً ضرورياً للزواج السعيد .

انت ترى اذاً ان قضيتك لها مساس بالزواج . بمعنى آخر ، انت تحرم زوجتك العتيدة مما لها حق فيه ، حتى ولو لم تكن قد عرفت من هي بعد ، وهذا مما يهدد سعادتكما معاً .

عزيزي ف. ، إفهمْ ما اقول . ليس قصدي حرمانك من لذة ، بل الحفاظ على هنائك وسعادتك . فان كنت تقطف براعم شجرة البرتقال فلن تتذوق طعم فاكهتها . لذا عندما انصحك بعدم قطف البراعم فانما افعل ذلك ليس لأمنع عنك شيئاً بل لأقدم لك شيئاً . وهكذا ارد على مثلك بمثل آخر : « ما اكثر ما يصاب المرء بالفقر وهو يقصد ان يكون غنياً . »

مع تحياتي الاخوية

ت.

م... ١٠ شباط

عزيزي الراعي ،

اذ كنت اقرأ رسالتك الاخيرة مرت في ذهني آية كتابية سمعتها مراراً لكنها اتخذت طابعاً جديداً خلال مراسلتنا . والآية هي « لا خوف في المحبة بل المحبة الكاملة تطرح الخوف الى خارج لأن الخوف له عذاب . ومن خاف فلم يتكمّل في المحبة » (يوحنا الاولى ٤:١٨).

هذه الكلمات حق وصدق. كنت، والحق يقال، خائفاً ولم اشعر بفرح يذكر في الليلة التي صرفتها مع الفتاة . لكني اريدك ان تفهم هذا ايضاً: ان الخوف ايضاً هو الذي اقتادني الى فعلتي - اعني الخوف من مرض قد ينتج عن تكاثر مادة الحياة (السائل المنوي) في جسمي. أضف انني اختبر احياناً ما يعرف بالاحتلال الليلي . وقد نصحني اصدقائي بأن لا مفر من هذه المزعجات الا بالجماع الجنسي. فما رأيك؟

لقد حذرتني من ايقاظ رغبة تعدد الزوجات في نفسي : أوَليس من الممكن ان يقع الانسان في حب عدة نساء في آن معاً . لمَ لا ، والكتاب المقدس لا يمنع تعدد الزوجات ؟

ها قد كشفت لك في رسالتي هذه اعماق ما يخالجني في سري . فأرجو ألا اكون قد ازعجتك كثيراً اذ ليس لي من افاتحه بموضوعات كهذه حتى اقرب الناس اليّ ، اعني والديّ . في ما يتعلق بالفحص الطبي اود ان اخبرك ان لا ثقة لي به ، لان اطباءنا في اكثر الحالات لا يقولون الحقيقة . فهم يخافون التورط بمشاكل مع عائلاتنا .

شكراً لك ثانية على صبرك وطول اناتك . المخلص

ف.

ب... ٢٠ شباط

اخي العزيز ،

اسمح لي ان ابدأ بسؤالك الاخير . كلا، انا لا اعتقد ان في وسع الانسان ان يحب اكثر من امرأة واحدة في وقت واحد . على أية حال ، المسألة تتوقف على ما تقصد بكلمة «حب». فان كنت تقصد بالحب مضاجعة فتاة ، أي مجرد عمل جنسي، فعندئذ يكون سؤالك في موضعه. غير ان «المحبة الكاملة» التي يتحدث عنها الكتاب المقدس في الآية التي اقتبستها لا تتعلق بالجسد فحسب بل ايضاً بالقلب . اني لعلى يقين من انك تعرف المثل القائل : « القلب المتعدد الزوايا يتسع لأكثر من واحد» وهذا حق . قال بلزاك مرة : « ان الاعتقاد القائل باستحالة محبة الشريك الآخر فقـط لهو منافٍ للعقل تماماً كافتراضنا بأن الموسيقي يحتاج الى آلات عديدة قبل ان يتمكن من توقيع لحن جميل » . وان المسؤولية الكاملة ، كما شرحت قبلاً ، لا ترضى بأقل من ان يخلص المرء الودّ لامرأة واحدة .

تقول : ان تعدد الزوجات ليس محرماً في الكتاب المقدس . فمع انني لا اريد هنا الخوض في الموضوع بالتفصيل ، لكني اكتفي بذكر هذا: فحتى في العهد القديم لم يكن تعدد الزوجات قاعدة بل شواذاً. فآدم ، ونوح ، واسحق ، ويوسف ، كان لكل منهم زوجة واحدة فقط ؛ كما كان لكل الانبياء غيرهم . وحيث يعرض تعدد الزوجات، فهذا يرجع ، في معظم الاوقات ، الى العقم . على كل ، فالكتاب هو جد واقعي من حيث دلالته على المشكـلات والخصومات التي قد تنجم عن تعدد الزوجات : كالغيرة (تكوين ١٦:٤) ، والأسى

(تكوين ٢٦:٣٤) ، والمحاباة (تكوين ٤٩:٤) .

غير ان الكتاب المقدس يتعدى نطاق المنع . انه يعطينا تحديداً ايجابياً للزواج به نصل الى الاستنتاج المعقول والمقبول . يقول : «لذلك يترك الرجل اباه وأمه ويلتصق بامرأته (امرأة واحدة) ويصير الاثنان جسداً واحداً » (تكوين ٢:٢٤ ؛ مرقس ١٠:٢-٩) . فعن طريق الزواج لا يبقى الرجل والمرأة اثنين فيما بعد بل واحداً وهذا يعني انهما يصيران واحداً رغم احتفاظ كل منهما بشخصيته المميزة ، فهما اشبه بالاعضاء الجوهرية في الجسم الحي : الرجُل كالرأس والمرأة كالقلب وكلاهما مهمان ، فما من انسان يقدر ان يعيش بغير قلب او رأس، كما انه ليس في وسعه ان يعيش برأسين او قلبين . فالحاجة هي الى رأس واحد وقلب واحد .

ومعنى هذا انك في حال التصاقك بعدة نساء — وهذا زواج بالطبع — لا تقدر ان تكون واياهن جسداً واحداً وبالتالي لا تقدر ان تكون على «صورة الله» ، وواضح ان هذا كان قصد الله لما خلق الانسان ؛ « فخلق الله الانسان على صورته ، على صورة الله خلقه . ذكراً وانثى خلقهم » (تكوين ١:٢٧) . وفي حال تعدد الزوجات لا يمكن ان يكون هناك جسد واحد بامكانه ان يحمل صورة الله . فضلاً عن ان زواجك لا يكون مرآة صافية للمحبة الزوجية المتبادلة التي تعكس « محبة الله الكاملة » . فالزواج بامرأة واحدة وحده يشهد للمحبة الالهية .

ما من رجل عرف المرض نتيجة الكبت قبل الزواج. فما نصحك به اصدقاؤك هو محض كذب. وفوق ذلك ان القذف الليلي (الاحتلام)

ليس دليل المرض بل برهان العمل الطبيعي في جسدك . فهذا ما يحدث مع كل واحد . فان جسدك يقذف تلقائياً المواد الفائضة ، وهذا كل ما في الامر . ليس هناك سر او سحر في المسألة .

وعلى نقيض هذا ، فانك ان كنت تعاشر أية فتاة جنسياً فانك تعرض نفسك لخطر أشد : خطر الامراض الزهرية ، والعجز الجنسي لاسباب نفسية . فالذين يقولون لك بالجماع الجنسي لتفادي المرض وللتثبت من رجولتك هم الذين لا يعرفون معنى لضبط النفس .

ثق انه ما من فكر تطلعني عليه او سؤال توجهه اليّ يسبب لي ضيقاً او انزعاجاً . الحق يقال ان انفراد الكثيرين من الشباب بمشكلاتهم يؤدي بهم الى الضيق والألم الشديد . فهم بحاجة الى من يشجعهم على كشف قلوبهم لرجل ناضج جدير بالثقة وملمّ بشؤون الشباب .

بالمناسبة اقول ان الطبيب الذي يكذب ليس جديراً بمهنته . لذلك قبل ان تخضع للفحص الطبي حاول ان تجد طبيباً صالحاً . وان كنت على معرفة بطبيب مؤمن موثوق به فذلك افضل بكثير .

احييك باسم المسيح المثال الاكمل « لمحبة الله الكاملة » الذي يحبك رغم كل شيء .

المخلص

ت.

م... ٢٨ شباط

عزيزي الراعي ت. ،

يسرني ان اكتب اليك اليوم لاني موقن ان محبة المسيح وحدها هي التي تدفعك للاجابة على رسائلي . ولهـــذا لن اشعر فيما بعد بالوحدة واليأس بل بالحري بالتعزية والشجاعة .

اخبرتني في رسالتك الاخيرة عن الاصابة بالعجز . وهـذا لأمر غريب. فقد فعلت ما فعلت لأبين عدم عجزي . وسأقص الآن قصتي دون ان اخفي عنك شيئاً :

دعاني احد اصدقائي في ذلك اليوم المشؤوم لاقوم بزيارة لوالديه، وكان نحو المساء. وقبل وصولنا الى هناك كان يضحك مني قائلاً انني لست رجلاً بالمعنى الصحيح لاني لم أكن قد عرفت امرأة في حياتي ولما بلغنا بيته لم نجد هناك سوى فتاة لوحـدها . فشرعنا نتحدث سوية ونرتشف البيرة التي كانت الفتاة قد قدمتها لنا. وفجأة اختفى صديقي وبقيت والفتاة لوحدنا .

دعتني لأمارس الحب معها فرفضت. فما كان منها الا ان شرعت تهزأ بي موجهة اليّ كلاماً جارحاً ومهيناً، ناعتة إياي بالجبن والعجز.

لا ادري ان كنتم معشر الاوروبيين تدركون معنى ذلك عندنا نحن الافريقين . ان وصف امرىء بالعجز لهو من اكبر الإهانات التي توجه الى رجل . فلو لم اقدم لها البرهان على قدرتي لكانت اشهرتني في كل مكان . اصارحك القول ان قلبي لم يحب تلـــك الفتاة بحسب مفهومك انت لكلمة « حب » بل كنت امقتها في صميمي . لكني لم

اقدر ان افعل غير ما فعلت ؛ لان خوفي من الهزء والسخرية تغلب على كل خوف آخر .

اخبرني كيف يمكنك ان تكون رجلاً او تدعى رجلاً دون ان تتصرف كرجل ؟

المخلص

ف.

ب... ٦ آذار

اخي العزيز ،

كم انا مسرور لانك كاشفتني بالامر على حقيقته . فالعلة الاساسية ليست القلق على صحتك ولا الرغبة المخلصة في الاستعداد للزواج بل مجرد الخوف من الهزء والتجريح . وهذا لمما يهوّن عليّ الاجابة عن سؤالك الاخير .

انت لم تتصرف كرجل بل كجبان . فالرجل يعرف ما يريد ، فيصمم ثم يعمل . اما ان تسمح لنفسك بالتصرف عكس ارادتك مدفوعاً بأقوال فتاة خليعة فهذا دليل جبنك ، وهذا اكثر اذلالاً من سخرية القرية كلها . ثم انك ، في ذهابك الى بيت صديقك ، لم تبرهن عن كونك رجلاً ، لأن الرجل يجب ان يكون ثاقب النظر يبصر الشرك من بعيد. ألا ترى ان الحديث بينكما على الطريق كان ينبغي

ان يثير الريبة في نفسك ؟ أنصحك باجتناب امثال هذا الصديق . اضف ان الكحول شلّت قوة المقاومة الفكرية لديك وهكذا تمكّنا منك . كان الاجدر بـك يا صديقي ان تلجأ الى الهرب باعتبار ان الهرب في حالة كهذه دليل الشجاعة الحقيقية .

اذاً انت لم تكن رجلاً في تصرفك . فالرجل لا يُكرَه على عمل شيء بل هو سيد نفسه .

اذكر انني كنت ذات يوم مع افراد شبيبتنا في رحلة على الاقدام. وفي الطريق بلغ بنا العطش أشده حتى أتينـا الى نبع ماء . لكن قائدنا منعنا من الاقتراب الى الماء مدة نصف ساعة لانه شاء ان يعلمنا درساً في ضبط النفس .

ان اشباع نهمك لكل شيء في كل حين يجعلك بليداً ورخواً غير جدير باحترام الفتيات الرزينات . فالفتاة التي تهجرك لمجرد امتناعك عنها ، دَعْها وشأنها . فهي لا تستحق الاحـترام والتقدير . الفتاة المحترمة تريد رجلاً ولا ترضى بأقل من رجل .

انت تريد ان تثبت رجولتك . حسناً ، افعل ذلك عن طريق ضبط النفس لا الميوعة والانحلال . فالانضباط ضروري حتى خلال الزواج: فقد تصادف اوقاتاً تكون فيها زوجتك مريضة او متضايقة او تفصلك عنها المسافات . ما اكثر حوادث الزنى التي تمّت لسبب ان الازواج لم يتعلموا ضبط النفس في حداثتهم . فلكونك راغباً في اعداد نفسك للزواج ، عليك ان تتعلم كيف تمسك نفسك لا كيف تطلق لها العنان. فان شئت ان تقود سيارة فأول ما تحتاج تعلّمه هو

كيفية استخدام الكوابح والمقود ومن ثم يصبح من السهل عليك ان تسيطر على دوّاسة الوقود .

ارى لزاماً عليّ ان اوضح لك ايضاً ان ثمة علاقة بين ضبط الجسد والقدرة على المحبة بالقلب — علاقة كنت قد أشرت اليها قبلاً انما تتعسّر عليك فهمها . فكلما تعلمت ضبط جسدك قدرْتَ ان تحب بقلبك وتدرك الحب المعبر عنه بضحكة او حركة او نبرة صوت — الحب الذي يكشف قلب الفتاة على حقيقته .

الضبط الجنسي اشبه بسراج يضاء بزيت (البرافين) . فان انت لم تهذب الفتيلة ارتفعت الشعلة عالياً واتسخت الزجاجة وانحجب النور. فمن الاهمية بمكان ان تهذب الفتيلة وتكيفها لكي تتمكن من التمتع بالنور الصافي . فكما ان النور الجيد يتوقف على نظافة الفتيلة هكذا يتوقف الحب القلبي على الانضباط الجنسي .

لهذا يتوجب على كل انسان ، صغيراً كان ام كبيراً ، ان يلمّ بضرورة ضبط شهواته ، ليس لان الجنس شيء قذر بل لان نور المحبة ، دون الانضباط الجنسي ، لا يسطع جيداً ، وبالتالي لا يقدر الرجل وامرأته ان يعرفا السعادة على وجهها الاكمل . ذلك ان فن الحب ، كسائر الفنون ، لا تمكن ممارسته دون تدريب وانضباط . وهذا وحده يجعل منك رجلاً جديراً بأن يحبّ .

قد تقول الآن : « اذاً ليس من السهل ان يكون المرء رجلاً . » صحيح يا عزيزي ، انه ليس سهلاً . في الواقع انه صعب جداً ، لانه من العسير عليك ان تقاوم شهواتك وعلى الاخص ان لا تعمل على اشباعها بنفسك . فاذا حصل انك فعلت ذلك مرة فلا تشعر

انك صرت شاذاً او غير طبيعي . كلا البتة ! انما يتحتم عليك ان تفهم هذا : ان غريزة الجنس جُعلت فينا وسيلة للمشاركة . فان حاولت اشباعها بنفسك فانك تسيء استعمالها لانها تقودك في النتيجة الى الانزواء وطلب الارتواء الذي لا يجوز ان يتم الا بالمشاركة مع آخر . وهكذا تصرفك هذه العادة الى نفسك عوض الانفتاح على الشريك الآخر من خلال الحب الصادق . وفوق هذا فان العمل المنفرد يترك وراءه شعوراً بالخيبة والخجل والفراغ . على أية حال لا تنظر الى الموضوع نظرتك الى مأساة .

قد تقول : « انما الشهوة اقوى مني وتراودني حيناً بعد آخر . » قد يكون هذا صحيحاً ، لكن الذي يجعلك عاجزاً عن ضبط نفسك هو اعتقادك انك سيد نفسك . فانت تحتاج ان تعلم ان جسدك ملك لله أسوة بسائر الاشياء : مواهبك ووقتك ومالك . كل ما لك هو من الله لتستخدمه في سبيل اسعاد الآخرين . وطاقتك الجنسية اعطيت لك ايضاً لتستعملها من اجل سعادة شريكة الحياة المعينة لك من الله . فلا تحرمها ذلك . اما فيما يتعلق بخوفك من العجز ، أفلا تعلم ان الاباحية ، لا حفظ الطاقة الجنسية ، هي التي تعدمك قوى الجنس وتؤدي بك الى العجز ؟

فالى ان يحين وقتك لاتمام القصد من طاقتك الجنسية ، حاول ان توجه تلك الطاقة نحو النشاطات الخلاقة ، اعني النشاطات المفسوحة للشبيبة كخدمة العائلة والكنيسة والوطن .

ولا انسى ان اذكرك ان صحتك الجسدية والعقلية لهما مساس بالموضوع . فحاول ان تمتنع عن معاشرة الارديا، ومطالعة الكتب

الرخيصة ومشاهدة الافلام الردية . تجنب شرود الفكر والكسل والشراهة. انصرف الى عملك والى الرياضة البدنية والى آلاف الاعمال البطولية التي تتيح لك فرصة اكتشاف العالم لنفسك . فالقيام بعمل فني ، والاستعداد الجدي لمهنة العمر ، والدرس لامتحان شاق ، والقيام برحلة داخل بلادك او خارجها تتيح لك مجالات رائعة لتحويل رغباتك واستخدام طاقاتك الجنسية لغرض بنّاء .

انما الشيء المهم الآن هو ان لا تترك نفسك وحيداً في هذا الصراع اني على استعداد لان اكون لك صديقاً مخلصاً ان استطعت الى ذلك سبيلاً . ومهما يكن من امر فلا تنسَ ان الصديق الافضل في جميع المشكلات هو يسوع المسيح نفسه .

كلمة اخيرة في شأن الخوف من الهزء والسخرية . تذكر ان سيدك استُهزىء به لاجلك بل بُصق في وجهه . فلماذا تخاف من مضايقات فتاة مستهترة ؟

يسوع المسيح ، رجل الله ، هو وحده قادر ان يجعل منك رجلاً بكل ما في الرجولة من معنى .

المخلص في المسيح

ت.

م... ١٢ آذار

عزيزي الراعي ت. ،

بالحقيقة انك أصبتني في صميمي في رسالتك الاخيرة . على اني ارى الآن انني كنت خائفاً اكثر من اللازم من هذه الفتيات ، بل ادعيت الخوف تبريراً لمسلكي .

ولكن أليس من الضروري ان نعرف ماهيّة المرأة قبل الاقدام على الزواج ؟ ألا يكون الزواج تعيساً ان كانت الاعضاء لا تعمل بانتظام ؟ وبالاضافة ، ألا يتحتم على المرء ان يعرف قبل الزواج قدرة الفتاة على انجاب الاولاد لئلا يتعرض فيما بعد للتفكير بزوجة ثانية ؟

ان استعدادك لان تكون لي صديقاً مخلصاً يشجعني على توجيه مثل هذه الاسئلة اليك ، وعليه انا انتظر رسالتك المقبلة على أحر من الجمر .

المخلص

ف.

ب .. ١٨ آذار

صديقي العزيز ،

الاسئلة التي وجهتها لي في رسالتك الاخيرة مهمة جداً وسأحاول الاجابة عنها .

اني أعلم جيداً ان كثيرين من امثالك يظنون ان السعادة الزوجية متوقفة على تركيب اعضاء الانثى . ولكني اود ان اعلمك بأن اعضاء الجسد ، في معظم الحالات ، لا تشكل عقبات في طريق الزواج . والفحص الطبي كفيل بأن يكشف للمرء اكثر بكثير مما تكشفه الممارسة الجنسية . ولا تنسَ ايضاً ان هذه الاعضاء طرية ومرنة جداً تكيف ذاتها في مجرى الزواج .

من الحماقة بمكان ان يمارس الانسان الجنس مع فتاة بقصد معرفة نوعيتها . اولاً، ما من امرأة تشبه الاخرى ، سواء في الجسم أو في القلب. فبعد ان تقضي خمس دقائق مع فتاة في مكان منفرد — وهذا يذكرني ، مع المعذرة ، بما تفعله الهررة - فانك لن تعرف الا القليل عن جسدها . اما فكرها وفؤادها فلن تعرف عنهما شيئاً على الاطلاق.

كلمة «يعرف» هي كلمة هامة . وقد استخدمت في التوراة بمعنى «يعرف احداً باسمِهِ» أي يعرفه جيداً ويعتني به ويحبه ويحترمه كانسان . ويستخدم الكتاب المقدس هذه الكلمة لأول مرة في سفر التكوين ٤:١ حيث يقول : « وعرف آدم حواء امرأته ». فأنت لا تستطيع اطلاقاً ان تعرف ماهية المرأة بل امرأتك فقط . ومعنى ذلك انك لا تقدر ان تعرف المرأة الا بالزواج في جو من الامانة والاخلاص حيث يتم العمل الجنسي كأحد تعبيرات المحبة الخالصة .

فهل من الضروري ان يجازف الانسان اذاً ؟ الى حد ما ، نعم . فالزواج ضرب من المغامرة. ولكن ، بالاتكال على الرب وبالايمان به تحصل على بركته وعونه . ومهما يكن من امر تبقَ المجازفة أقل مما تتصور .

والآن حان الوقت لابحث معك قليلاً بما يحدث في قلب الفتاة التي تمارس معهـا الجنس . لغاية الآن كنا ننظر الى المشكلة من زاوية الشاب فحسب .

قد تعتقد انـــك بتجربتك للفتاة تؤدي لها خدمة ومعروفاً . لكنك لا تقدر ان تتصور ما يحدث في قلبهـا بعد ممارسة الجنس . انها تتأثر داخلياً اكثر من الشاب بما لا يقاس اذ ان الانطباع الذي يتركه الرجل الاول في حياتها لا يفارقهـا البتة . ولا تستطيع ان تنساه حتى ولو كرهته فيما بعد عند زواجها ممن تحب. والشاب ايضاً لا يقدر ان ينسى الى حين الفتاة التي عرفها ومارس الحب معها .

في معظم الحالات لا تدرك الفتاة ما تخاطر به . فيجدر بك ، والحالة هذه ، ان تعرف ذلك نيابة عنها. فاحترام عذرية الفتاة قبل الزواج ليس مجرد فكرة أناس رجعيين انما طبيعة الفتاة تتطلب ذلك. فلا يَغِب عن بالك مقـــدار الخطر الذي تتعرض له بتسرعها في الاستسلام والنتائج المترتبة على ذلك حتى ولو بدت انها على استعداد للجنس (كالفتاة التي حاولت ان تضلك سواء السبيل) . هذا يجعل من السهل عليك السيطرة على رغباتك . وبهذا العمل البطولي تقدم بالفعل خدمة ومعروفاً للفتاة .

ان حفظ وصية يسوع القائلة: «تحب قريبك كنفسك» المعروفة بالوصية العظمى ، تحتم عليـك الامتناع عن العلاقات الجنسية قبل الزواج ، والا فأنت تؤذي نفسك والقريب .

المخلص

ت.

م... ٢٦ آذار

راعيّ العزيز ،

ما قلته لي في رسالتك الاخيرة لم يكن لي عهد به من قبل ، ولم يخطر لي على بال اني بتلبيتي دعوة الفتاة كنت اسيء اليها . ظننت بالحري اني أسرُّها وافعل ما يلذ لها .

وقد تكلمت مع بعض اصدقائي بهذا الشأن . ولكنهم ما زالوا يقولون باختبار الفتيات الخبيرات في الجنس باعتبار انهن لن يقاسين من جراء ذلك ويهمني ان اعرف ما تظنه بخصوص مجادلات كهذه.

لم تجب سؤالي عن الزوجة التي لا تنجب اولاداً . افلا يحق لك ان تتأكد مما اذا كانت المرأة منجبة ام لا قبل ان تتزوج بها ، مما يقيك غائلة التزوج بغيرها في حال كونها عقيمة . لان الزواج دون اولاد ، هو بالتأكيد عديم المعنى .

ف.

ب... ٣٠ آذار

عزيزي ف. ،

استميحك عذراً لاجل اهمال السؤال المختص بالزواج العقيم . والآن دعني اسوق كلمة عن مجادلاتك مع اصدقائك .

ان ورطت نفسك مع فتاة – دون زواج – فانك تجد نفسك

وسط اختبار كاذب لان شريكتك والحالة هذه، ليست امرأة بالحق بل فاجرة . وفي النتيجة انت تخدع نفسك ورجوليتك وتتغمس في عادات تعكر عليك صفو حياتك الزوجية .

كانت ممارسة الجنس ، حسب التقاليد القديمة ، تقابل بعقوبات صارمة. ولهذا اتساءل احياناً ان كان اجدادك قد فهموا هذه الحقائق التي نحن في صددها ام لا . فما رأيك ؟ على أية حال ، سواء عرفوا ام لا ، فارادة الله ليست بدون مسوّغ ، بل هي واضحة بشكل لا يقبل الشك فضلاً عن كونها صالحة ومسرة وكاملة . والله يعرف ما هو لسعادتك اكثر منك ولا يقصد ان يخدعك حين يأمرك بالزواج بامرأة واحدة فقط .

فيحسن بك ان لا «تعرف» زوجتك قبل ان تتسلمها من يد الله في يوم عرسك . ولا تسمح لنفسك بمعرفة أية امرأة اخرى قبل المرأة المعينة لك .

امركم غريب انتم الشباب . لم أرَ شاباً الا وعبّر عن رغبته في التزوج بعذراء. ومع هذا فأنتم الافريقيين تريدون ان تمارسوا الجنس اولاً . ألا ترى هنا وجه التناقض ؟ فما ادراك ، ان انت اعتديت على عفاف خطيبة سواك ، ان خطيبتك لا تلقى نفس المعاملة من شاب آخر ؟

يضع الله امامك فرصة فريدة ألا وهي ان تكون رجلاً لم يعرف النساء في حياته . وهكذا تكون زوجتك من خيرة النساء وقرّة عينك وبهجة قلبك .

كثيراً ما تساءلت عن اسباب عقم الكثيرين من الازواج

الافريقيين – لأن الرجل قد يكون عقيماً ايضاً وليس المرأة فقط . اما الآن فأنا مقتنع ان احد الاسباب يعود الى تكرار ممارسة العمل الجنسي عند الشباب قبل الزواج . وهذا يساعد بالطبع على انتشار الامراض الزهرية . وقد يعود السبب احياناً الى انسداد المجاري او الانابيب عند الزوج او الزوجة نتيجة للاصابة بالتهابات داخلية . غير ان هذا يمكن معالجته بالوسائل والارشادات الطبية. وسنعود الى الكلام عن هذا الموضوع مرة اخرى بعد ان تكون قد تزوجت وصادفت عقبات من هذا النوع .

اليك الآن باختصار هذه الحقيقة التي غالباً ما تكون مجهولة عند الكثيرين . ان زمن الحمل عند المرأة يتم عادة عند انفصال البويضة عن المبيض ما بين اليوم التاسع عشر واليوم الرابع عشر الذي يسبق العادة الشهرية التالية. فلذلك كان اختيار يوم التلقيح ذا أهمية كبرى. دعني اكرر : كل امرأة تختلف عن غيرها من النساء ويمكنك مع الزمن ان تعرف يوم التلقيح الخاص بامرأتك . فاختبار الجنس قبل الزواج لن يفيدك شيئاً من هذا القبيل .

فالالمام بهذه الامور يجعلك تتجنب الجماع في الايام المخصبة التي يرجح فيها الحمل ، هذا ان كنت لا تريد زوجتك ان تحمل بعد الوضع بوقت قصير . لان الله لا يشاء ان يمتنع الرجل عن امرأته لسنوات بقصد منع الحمل . طبعاً اجتناب العمل الجنسي في ايام الخصب لا يكفل لزوجتك عدم الحمل لكنه يساعد كثيراً على ذلك. على كل حال ، لا الخوف من كثرة الانجاب في وقت قصير ولا العقم وعدم الانجاب يبرر تعدد الزوجات . فعلى الرغم من كل المعارف

البشرية والاسعافات الطبية يبقى الاولاد من أعظم عطايا الله . فاذا لم يمنّ الله علينا بهذه العطية فلزامٌ علينا ان ندرك ان الانجاب ليس الغاية الوحيدة من الزواج، اذ ان اتحاد الرجل والمرأة في جسد واحد له معنى عميق في ذاته بصرف النظر عن الاولاد .

من الضروري ان لا يستسلم الزوجان للعقم قبل ان يجربا كل علاج ممكن . وبغضّ النظر عما يتركه من ثقل وهمّ ولا سيما على الزوجة ، يتحتم على الزوجين ان يتغلبا على هذه التجربة وينظرا بالايمان الى ما أعد الله لهما من عمل. فقد يجد الزوجان تعزية في تبني طفل مهجور ، او في تكريس حياتيهما لعمل مشترك كان من غير الممكن ان يقوما به كعائلة كبيرة . اعرف الكثيرين من الازواج في هذه الحالة وقد استعاضوا عن النقص بهذا الاسلوب الرائع .

فتيات كثيرات يخفن الزواج لسبب واحد معبّر عنه بالسؤال التالي: « ماذا افعل ان طلقني زوجي او تزوج بأخرى في حال عدم انجابي اولاداً له ؟» الحق يقال ان الخوف من العقم يؤدي بالفتاة الى العقم. ولذا يجب ألا تدع شكاً في قلب خطيبتك من جهة حبك لها سواء أنجبت لك اولاداً ام لم تنجب .

عليك في يوم عرسك ان تتعهد لعروسك امام الله بما يلي: اعدكِ بأن احبك وأرعاك واكرمك وأصونك في المرض والصحة وأبقى لك ، دون غيرك ، اميناً الى ان يفرقنا الموت .

ان اختيار شريكة حياتك يأتي في المرتبة الثانية في الأهمية بعد اختيار المسيح مخلصاً ورباً لحياتك . فليت الله يقودك ويرشدك في كل شيء .

المخلص في المسيح

ت.

م... ٤ نيسان

راعيّ العزيز ،

لِمَ لم يخبرني احد بذلك يا ترى؟ فلا والدي ولا معلميّ ولا راعينا تكلموا معي قط في موضوع كهذا . كل ما اذكره بهذا الشأن عظة عن الزنى سمعتها من احد المبشرين، وقد اثارت فيّ تساؤلات كثيرة. ولما حاولت الاستفسار من والدي عما سمعت كان نصيبي الاهانة والضرب .

ها انا الآن انال عقابي كمذنب وقد وُضعت «تحت التأديب» دون ان يوضح لي احد نوعية ذنبي. ولا اعلم ان كنت، بعد انقضاء الاشهر الستة للتأديب ، سأحصل على غفران الله بصورة عفوية .

لي سؤال آخر بعد، ولا سيما لاني فهمت ان اقامة علاقات سريعة مع أية فتاة جاهزة لا يساعد على معرفة المرأة . غير ان الزواج يجب ان يسبقه اختيار ، والاختيار يتطلب معرفة بالفتيات . فكيف يمكنني الاجتماع بهن ؟ أين يجب ان اذهب او لا اذهب ؟ ما رأيك بالرقص ؟ ولماذا تتصور الفتيات ان الشاب لا يقترب منهن الا وفي نيته اقامة علاقات جنسية ؟

وأخيراً ، ان كنت تقول ان الناحية الجسدية ليست دليلاً كافياً للاختيار فما هي المقاييس التي تقترحها عليّ ؟ كيف اعرف اني احب فتاة او هي تحبني ؟

لا شيء عندي سوى اسئلة. ولذا ارجو ان لا تضيق ذرعاً بي .

المخلص

ف.

ب... ١٥ نيسان

عزيزي ف. ،

انت على صواب . فمن الضروري ان تتعرف بفتيات قبل ان تتمكن من الاختيار. ولكن ليس من السهل عليّ ان اقدم لك بعض النصائح التي ربما يصعب تطبيقها هنا في افريقيا . فالعادات ما زالت مترسخة ولا تقرّ بوجود حب بالمعنى المسيحي ، أعني العطاء الحر المتبادل بين انسانين . وربما هذا هو السبب في تشديد المراقبة على الفتيات .

لكنني اعتقد انه قد حان الوقت للسير في اتجاه جديد . لأننا اذا اردنا السعادة لزوجات المستقبل كان من الضروري اتاحة الفرصة لالتقاء الجنسين في جو من الصداقة الحلوة وعلى اساس من الاحترام المتبادل الخالي من الارتباك والحياء الكاذب . فالمدارس المختلطة وحركات الشبيبة ومخيمات العمل خلال العطلة : هذه كلها تتيح امثال هذه الفرص. وعلى الكنيسة التي تريد خدمة مثمرة، فضلاً عن الوعظ عن قباحة الزنى، ان تهتم بتأسيس مراكز للشبيبة في المدن والقرى.

تقول : « اين يحسن بي ان اذهب ؟» من الصعب اعطاؤك قوانين او قواعد ثابتة وجازمة . فالأمر راجع اليك في اجتناب ما يجب اجتنابه . قل لنفسك : « لن ارتاد مكاناً لا اتمنى ان يراني فيه من احترمه وأحبه على كل من في الدنيا .»

ولكسب الاصدقاء يفضل ان يجتمع عدد من الشبان مع عدد من الشابات معاً وليس كل اثنين على حدة . دعك والمعانقات . ونصيحتي لك هي « ارفع يديك .»

اما كون الفتيات يشككن في نوايا الفتيان فهـذا يعود نوعاً ما الى العادة التي لا ترى مبرراً آخر لانزواء الفتى بالفتاة . كما انه يعود ايضاً الى بعض الاختبارات الصعبة التي مرت عليهن . فان شئت ان تتصرف بخلاف ذلك فأنت حر. اني واثق من ان الفتيات الرزينات يرحبن بفرص اللقاء كاصدقاء، فالفتاة المخلصة يمكنك كسب احترامها بسلوكك الحسن . اذاً ضع هذا الهدف نصب عينيك : ان تكون الوحيـد بين اصدقائك الذي يكنّ احتراماً وتقـديراً عظيمين للفتيات .

نعم لا بد من يوم للاختيار ، ولكن اياك ان تتخذ قرارك بخفة كما لو انه قرار قابل للتغيير والتبديل . فالزواج عنـد الله ثابت لا ينفصم . الموت وحده يقـدر ان يفصل بين من هما في عرف المسيح «ليسا اثنين بل واحداً» . لأن «الذي جمعه الله لا يفرقه انسان» .

وكدليل يعينك على الاختيار انصحك بالأسئلة التالية :

١ ـ السؤال الاول يتعلق بالايمان . فهمت من رسالتك الاخيرة ان غفران الله له قيمة في نظرك . ومعنى ذلك انك لا تقدر ان تتصور الحياة بمعزل عن يسوع. اذن يجب ان يكون سؤالك الأول: هل الفتاة حقاً متجددة ؟ هل اقدر ان اصلي واياها ؟ لانك كيف تقدر ان تشاركها في كل شيء دون هـذا الركن الاساسي ؟ بالطبع انت لا تريد فتاة غير مبالية بالمسيح على اعتبـار ان وحدة الايمان اساس وحدة العائلة وضمانتها .

٢ ـ ثم يجب ان تسأل : هل انا احبهـا ؟ لكن كيف تعرف ذلك ؟ اليك بعض الأدلة : ان كنت لا تستطيع ان تتصور الحياة

بدونها وتتألم عند مفارقتهـا ، وان كانت تحتل مكاناً مرموقاً في افكارك ومخططاتك واحلامـك ، وان كانت سعادتها بنفس أهمية سعادتك فيمكنك عندئذ ان تتأكد من حبك لها . وان كانت الفتاة تراسلك ، وتهتم بملاقاتك، وتقطع كل علاقة لها بغيرك ، فاعلم عندئذ انها شغوفة بك وتحبك من اعماقها .

٣ – لا يكفي ان تحبها كأخت ان كنت تنوي الزواج بها. بل يجب ان تحبها كامرأة . ويجب بالتالي ان تسأل نفسك : هل اتمناها ان تكون أماً لاولادي ؟ وستجد ان كثيرات ممن يحاولن اجتذابك بجمالهن الخارجي قد اصبحنَ تلقائياً خارج قائمة اختيارك. كذلك على الفتاة ان تسأل : هل انا مستعـدة لتسليم نفسي له ؟ هل ارغب في ان اكون اماً لاولاده ؟ انها بلا شك لا تريد لاولادها اباً سكيراً او مستبيحاً او بخيلاً او كسولاً .

٤ – والسؤال الاخير هو هذا : هل هي ، بسلوكها ومظهرها ، بما تحب وتكره ، بصفاتها واهتماماتها ، بثقافتها ومقدرتها ، الفتاة التي تقدر ان تعينني لاتجاوب مع مهنتي وتشاركني اتراحي وافراحي في العمل ؟ في حالتك انت انصحك ان تختار فتاة على قسطٍ من العلم حتى تتمكن من التحدث اليها عن صعوبات عملك المدرسي ومشكلاته. هذا ضروري جداً . فالمحبة الصادقة ناطقة ، اما المحبة الصامتة فلا تعمر طويلاً .

ثمـة سؤال او سؤالان آخران تستطيع ان توجهها الى نفسك ويتعلقان بالصحة والبيئة والسن . يفضل ان تكون زوجتك اصغر منك قليلاً – لا كثيراً – في السن . يقول الاطباء ان السن المثالية

لزواج الشاب هي الخامسة والعشرون وللفتاة الحادية والعشرون .
اياك ان تتزوج فقط لارضاء احد افراد عائلتك . ولا تنظر الى المرأة كوسيلة بل كغاية . بعبارة اخرى : أحبّها لاجل ذاتها وليس بدافع المصلحة او الربح المادي .

كل ما كتبته لـك في رسالتي هذه ليس سوى ضمانات بشرية ، وهـذا يعني ان الزواج يبقى ضرباً من ضروب المجازفة بما فيها من مفاجآت ومجهولات ومسؤوليات جسام لا تقدر عليها بثقة الا بمعونة الله. بكلمات اخرى، اجعل الله دليلك الاول لكي يرشدك ويوجهك في اختيار شريكة الحياة .

وستجد ان مسألة الارشاد لهـا علاقة وثيقة بالغفران الذي استشرتني بشأنه. فان لم تحصل على غفران الله فلن تحظى بارشاده. لاننا بتعدينا ناموسه ينفصم حبل الشركة بيننا وبينه . تصور ان ثمة خطاً هاتفياً بيننا وبين الله . فكلمسا اخطأنا ينقطع الخط ولا نعود نسمع صوته الا بعد ان نقوم باصلاحه .

فالامر ليس سهلاً كما تظن . ان بقاءك «تحت التأديب» ستة اشهر لا يضمن لـك الصفح بصورة آليّة . نعمة الله ليست رخيصة بل غالية وتتطلب منك اعترافاً بخطيتك وتوبة من كل قلبك . وهـذا في عرفي اصعب جـداً من مجرد الانقطاع عن الشركة لفترة من الزمن .

ان الغاية من التأديب الكنسي ليست الا شهادة للعالم بان الكنيسة لا توافق على سلوك معين . فالتأديب لا يقوم مقـام التوبة ولا هو بقصاص . ثم ليس من حق الكنيسة ان تعاقب على الخطية ، والا

كان ذلـــك اهانة للمسيح الذي حمل قصاصنا بموته على الصليب : « مجروح لأجل معاصينا ، مسحوق لاجل آثامنـا . تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا » (اشعياء ٥٣:٥) . لقـــد دفع الله ثمناً باهظاً لفدائك اذ بذل ابنه الوحيد لأجلك .

انصحك ان تقرأ تكراراً وبتؤدة المزمـــور الثاني والثلاثين . وستجد هناك احد اسرار الحياة المسيحية أي علاقة التوبة بالارشاد الالهي . يقول صاحب المزمور: «لما سكتُّ (عن الاعتراف بخطيتي) بليت عظامي ». ويضيف «قلت اعترف للرب بذنبي» . فيجيبه الله قائلاً : «ارشدك وأعلمك الطريق التي تسلك» .

استطيع منذ الآن ان انبئك بالسؤال الذي ستوجهه اليّ في رسالتك المقبلة ، وهو: كيف اقدر ان أتوب ؟ والحق يقال هذا هو السؤال الأهم في الحياة . وجواب هذا السؤال يتضمن اجوبة الأسئلة الاخرى كلها . انما المشكلة هي انني لا اقدر ان اقدم لك الجواب بالمراسلة. ومعنى هذا اننا بلغنا حدوداً معينة في المكاتبة. فلحدّ الآن كنت أوجه اليك النصح كتابة ، اما الآن فاننـا نحتاج ان نتحدث سوية كأخوين . لذلك ادعوك بحرارة قلب ان تأتي الى زيارتي .

انا في الانتظار والى اللقاء .

اخوك في المسيح

ت.

ملاحظة : انت تحب «الاختبار» جداً. فأجرِ هذا الاختبار وتعال. تجد طيّه شيكاً بقيمة نفقات سفرك .

م... ٢ ايار

اخي العزيز في المسيح ،

أود ان احيطك علماً بأن سفرتي رجوعاً الى البيت كانت ممتعة بل ممتعة جداً . وسأخبرك المزيد عنها فيما بعد .

بادىء بدء اريد ان اعبر لك عن خالص شكري للارشادات الروحية التي زودتني بها . واعترف لك بانني كنت متردداً جداً قبل ان اعزم على المجيء اليك، غير ان المبلغ الذي ارسلته لي جعلني أقرر اخيراً على الذهاب . وقد وضعت في قلبي ان لا اقول شيئاً لكي تقول انت كل شيء . وأصارحك القول انني كنت خائفاً . فمع ان مناقشة قضيتي من قبل شيوخ الكنيسة لم تزعجني اطلاقاً الا ان التفكير بالحضور اليك هز كياني .

لقد فوجئت وأنا عندك مفاجأة مزدوجة. اولاً، لم اشعر وأنا في بيتك انني امام قاضٍ ، بل مع صديق ، وبالاحرى مع خاطىء نظيري. فكنا متساويين امام الله . وهذا ما جعلنا نتحدث عن هزائمنا الماضية حتى اني تعزيت جداً . ولشد ما تأثرت بالقصة التي قصصتها عليَّ عن الفلاح الذي أقر بسرقة حبل دون ان يأتي على ذكر الجدي المربوط بطرفه . لم اكن أتصور ان في استطاعة رجل ان يتكلم بسهولة عن « جدائه » ولا كنت اتخيل مقدار التعزية التي تنجم عن لاعتراف ببعض الأمور. لسوء الحظ ان مشكلتي التي جعلتني اكاتبك في المرة الاولى لم تكن «جديي» الوحيد. وعلى الرغم من مشقة التوبة وصعوبتها فإنها لم تكن باعثة على اليأس . فقد ضحكنا مراراً اثناء الحديث وكان الجو لطيفاً ومشجعاً . وعليه أرى ان التوبة ليست امراً محزناً

بل مفرحاً وربما أبهج اختبار في الحياة .

والمفاجأة الثانية هي انك لم تنزعج ولم تتضايق حتى عندما اخبرتك عن « جدائي » الكبيرة. ولأنك لم توجه اليّ اسئلة محرجة كنت اشعر بارتياح وحرية . اضف ان جوهر الحديث لم يتركز على زلاتي بل على غفران تلك الزلات .

ما زلت اجد صعوبة في قبول الفكرة بأن لا داعي لي الى تحمّل قصاص معين لمجرد ان يسوع سبق فحمل الاحزان وتحمل الاوجاع والتأديب (الذي انا استحقه) لكي يمنحني السلام. اني اتساءل احياناً ان كنت أتمتع بسلام أعظم فيما لو نلت شيئاً من القصاص والألم على ما اقترفت – ليس لكي انال الغفران بل لأعبر عن تغيير قلبيّ داخليّ . على ان هذا ، كما قلت لي ، قد يبدو ضرباً من الافتخار . ولهذا سأضع ثقتي كاملة في عمل يسوع الكامل .

لن انسى اللحظة التي صلينا فيها معاً وكيف عزيتني بالآية من سفر اشعياء ٤٣:١ ، القائلة : « هكذا يقول الرب : لا تخف لاني فديتك ، دعوتك باسمك ، انت لي» . وكذلك بآية من انجيل يوحنا ٨:٣٦ ، تقول : « ان حرركم الابن فبالحقيقة تكونون احراراً ». كنت دائماً احب ان اكون مؤمناً طيباً ولكن حتى الساعة لم أكن واثقاً من مغفرة خطاياي ، اما الآن فقد نلت الغفران بالفعل .

اليك الآن ما حدث عند رجوعي الى البيت . اني اكاد اطير من الفرح بل اكاد أُجن . اني ... لست ادري ماذا ... بالاختصار التقيت فتاة .

هذه الكلمات تبدو لأول وهلة فارغة وبلا معنى لأنها لا تقول

شيئاً. كان الاجدر بي ان اقول انني لأول مرة في حياتي التقيت فتاة وكانت نظرتي اليها نظرتي الى انسانة والى ملكة . لم أكن اعتقد ان في استطاعة فتاة ان تستحوذ على تفكيري واهتمامي الى هذه الدرجة. فأنا عاجز عن وصفها لك والتحدث عن جمالها وكمالها . بالاختصار تعرفت بالشابة التي ستكون شريكة الحياة في المستقبل . وكم اتمنى ان اراك الآن لأنك ستدهش ولا شك .

حصول هـذا معي بعد زيارتك مباشرة أمر يبعث على الحيرة والاستغراب . أفتظن ان الله اقتادني الى هذا الاختبار؟ وهل تعتقد ان ثمة علاقة بين هذه الصداقة الجديدة وتصميمي الجديد امام الله ؟ لقد اكدت لي ان الله يقوم بارشادي بعد اصلاح « خط الهاتف » ، ولكن هل بهـذه السرعة ، وبهذه الدقة ؟ وهل الله قريب الى هذا الحد ؟ انه لشيء مرهب حقاً .. اني اتوجّس خيفة ...

لدي امور اخرى كثيرة ارغب في اطلاعك عليها . وفي الوقت ذاته اشعر انه من المفضل ان اختم رسالتي هنـــا . على أية حال ، سوف اكتب للفتاة مرة اخرى .

صديقك المذهول

ف.

ب... ٦ ايار

عزيزي المذهول ف. ،

سررت الى أقصى حد عند قراءتي رسالتك الاخيرة . اهنئك على صداقتك الجديدة واعتقد انك واقع في الحب . وأنا اشكر الله لأنه سمح لك بهذا الاختبار . لا ريب انه استجاب صلاتي لأجلك .

نعم اعتقد ان هناك علاقة بين خطوة الايمان التي اتخذتها ومعرفتك بهذه الفتاة ، لكنما الله لا يعمل دائماً بنفس السرعة . كثيراً ما يجعلنا ننتظر بغية امتحان ايماننا وتعليمنا الصبر . فان كان قد استجاب صلاتك بسرعة ووضوح فهذا لكي يشجعك في خطواتك الاولى في حياتك الجديدة ويلقنك درساً لا تنساه . فهو يعمل بلا انقطاع وهو دائماً قريب منك سواء عرفت أو لا . وعليه أتمنى ألا يفارقك اطلاقاً ما تحس به من خوف في قلبك ، لانه « مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي (عبرانيين ١٠:٣١) .

والآن اسمح لي ان اسألك هذه المرة بعد ، لا سيما وانك أثرت فيَّ الفضول وحب الاستطلاع . من هي هذه الفتاة يا ترى ؟ اخبرني بالتفصيل كيفية تعرفك بهذا الملاك . هل هي تحبك؟ هل تحدثت الى والديها ؟ وهل ابدأ منذ الآن بتحضير عظة الزواج .

ارجو ان اسمع منك على جناح السرعة .

الفضولي المخلص

ت.

م... ٣ حزيران

والدي العزيز في المسيح ،

ها قد مرت اربعة اسابيع على رسالتك الاخيرة لي . وابدأ هنا بالقول : كلا يا سيدي لا تبدأ بتحضير عظتك. فقد تمر سنوات قبل ان نتمكن من الزواج – هذا اذا تزوجنا . اني تعيس جداً، ولكن دعني اولاً اطلعك على القصة بكاملها :

التقينا داخل سيارة ركاب (بوسطة) . وكانت تحمل طفلاً على ذراعيها ، علمت فيما بعد انه طفل اختها المريضة. فظننتها لأول وهلة امرأة متزوجة . وكان الى جانبها صندوقان من الامتعة ومجموعة من الطناجر . ولما لم تكن لنا مقاعد نجلس عليها ، كنا ، بحكم الظرف، عند مفترقات الطرق ، نميل بعضنا على بعض حفظاً لتوازننا. فأخذنا نتحدث عن بعض الامور اليومية العادية وكان انطباعي الاول عنها انها تختلف عن غيرها من الفتيات . لا اعرف كيف أفسر ذلك. انها كانت اكثر انفتاحاً واكثر تحفظاً . فلم تساورني افكار غير طاهرة من جهتها .

ولما وصلتْ الى حيث تقصد طلبت اليّ ان اناولها اغراضها من نافذة السيارة ، إلا ان السائق استأنف المسير قبل ان اتمكن من ذلك. ومرت خمس دقائق قبل ان تمكنتُ من اقناعه بالوقوف ثانية . وهنا وجدت نفسي في حيرة : ماذا افعل ؟ نزلت من السيارة لأجد نفسي في شبه غابة وأنا احمل اغراضاً ليست لي . فأخذت امشي رجوعاً زهاء عشرين دقيقة حتى وجدت الفتاة مع الطفل وكان كلاهما يبكيان .

كان الأمل ضئيلاً في ايجاد سيارة اخرى في ذلك اليوم . فدعتني الفتاة لقضاء ليلتي في بيت والديهـا في قرية تبعد حوالى الميلين عن تلك الطريق .

وصلنا معاً وكانت هي تحمل الطفل وبعض الاغراض وانا احمل صندوقَي الأمتعة . وكان اهل القرية جميعهـم ينظرون الينا لأن المنظر كان غريباً عليهم .

كان الاستقبـال فاتراً ، فشرَحَتِ الفتاة لوالديها القصة ثم قمنا لتناول الطعام .

سألت نفسي تكراراً الاسئلة الـتي طرحتها عليّ . فبدا لي ان الجواب كان دائماً بالايجاب فهي مؤمنة وطالبة ولها ميل الى التعليم. فلن اجد افضل منها أماً لأولادي . انهـا تصغرني قليلاً وفي صحة جيدة بالاضافة شعرت انها توليني اهتماماً خاصاً ولو انها لم تقل شيئاً. انما عيناها نابتا عن فمها في قول كل شيء .

ما مرّ في ذهني اطلاقاً ان ادعوها لقضـاء ليلة معي . فقد انكرت نفسي ولو انني في الماضي كنت لا افكر بسوى ذلك . ولما غادرتهم في اليوم التالي لم يقل لي والدها شيئاً مع العلم انهما كانا مهذبين ولطيفين .

ثم توالت الرسائل في كل يوم تقريبـاً . تجد طيّه احداها وقـد حفظتها عن ظهر قلب . والرجاء ان تعيدها اليّ باسرع ما يمكنك . فانك تقدر ان ترى انها رزينة وجدّية .

اين المشكلة اذاً ؟ المشكلة هي ان والدها يريد ان يزوجها من غني ، وانا كما تعلم لا املك شيئاً . ولما ادرك اني لست من اصحاب

الثراء بقي جامداً وصامتاً. وهنا دبّ في قلبي اليأس وشعرت ان الدنيا ضاقت بي .

ماذا في وسعك ان تقول لي الآن ؟ انك لم تفكر قط بهذه العقبة الكأداء ، اليس كذلك ؟ ما المنفعة لي الآن من كل نظرياتك عن الحب بصورة عامة أو الحب في القلب ؟

بالطبع ليس في مقدور احد ان يمنعنا من ان يحب احدنا الآخر وربما من ان نتحد انما بغير زواج . فالزواج على اساس الحب في مجتمعنا لا هو بالمعقول ولا بالمقبول . وفي حالة كهذه لا تكون البنت زوجة رجلها بل زوجة امواله .

لقد جعلتني اعيش في حلم ، غير ان الواقع المرير قضى على كل احلامي ولم يبقَ لي بصيص امل . فماذا افعل ؟ أفتريدني ان اعمل عندك في غسل ثيابك كي تبيضّ ويبيضّ شعري شيباً معها ؟ انظر ! اني اعلم مقدار قحتي ونكراني للجميل وانك لا تستحق كل هذا التهكم . ولكني لا اعرف وسيلة اخرى للتعبير بها عن يأسي وفشلي. خير لي ان اموت على ان أحيا حياة لا حياة فيها. اني أحس بميل الى البكاء بل الى الاجهاش في البكاء على آلاف الشبان الذين قضي عليهم ان يبقوا عازبين وينحرفوا الى العهارة والدعارة ، وعلى آلاف الفتيات اللواتي يرغمن على الزواج من شيوخ مسنين لمجرد انهم اغنياء. ولكن من يصغي الى بكائي ؟

اني اندد بالمسؤولين في بلادي الذين يأكلون مال الفقراء عوض ان يمنعوا احتكارات الاغنياء .

اني اندد بهذا المجتمع المستبد وهذا الطغيان الذي يجعل الفتاة

تتزوج ممّن يختاره اهلها بقصد الحفاظ على ميزان العائلة المالي .

اني استنكر استغلال الآباء لاولادهم اكثر مما استغلتنا أية دولة مستعمرة. واستنكر تقليداً يهدد الحرية الفردية والوطنية عن طريق سيطرة الكبار على الصغار .

اني اندد بالآباء على أنانيتهم وتفاهتهم . ان تقاعسهم عن العمل يجعلهم يستخدمون بناتهم لأجل تسديد ديونهم وشراء حاجياتهم .

اني اندد بالفتيات اللامباليات اللواتي يسمحن لوالديهن بالاسترسال في اساليبهم ومن ثم يأخذن في التذمر والتأفف من زواجاتهن التي كثيراً ما تكون اشبه بالسجن داخل اسوار او اسلاك شائكة .

اني اندد بالكنيسة التي، عوض ان تعلمني، اخضعتني لقوانين صارمة لا أفهمها. ولما تعديت تلك القوانين وكنت احوج شيء الى نعمة الله، حرمتني تلك النعمة. اندد بالكنيسة التي تعاقب ولا تساعد والتي، بعد ان افقدتني وظيفتي، دفعتني الى الانحراف لكي توجه اليّ لومها فيما بعد.

فلماذا يريني الله، مشترع الزواج وحاميه، الطريق دون ان يقدرني على السير فيه؟ وان كان الزواج عن حب هو من نصيب المتمولين فلماذا لا يرسل اليّ من سمائه ما احتاج اليه من مال؟ اين قدرته؟ أليس هو اقوى من هذه الآلهة الصغيرة الكاذبة أي المال والبيئة؟ أي إله هو؟

انك أيقظت فيّ أحاسيس ومشاعر لم أفكر فيها قط. علمتني ان أحب واضرمت في قلبي ناراً سماوية لولاها لم اعرف للرجولة معنى . اما الآن فالنار هذه تحرقني وتكويني اكثر مما احتمل ولسوف تقتلني.

لست انتظر منك جواباً لاني اعتقد جازماً ان ليس ثمة جواب.

المخلص

ف.

الى القارىء

مضى عليّ وقت طويل قبل ان استفيق من الصدمة التي سببتها لي هذه الرسالة الاخيرة التي لم اردّ عليها بعد . وحيث ان صديقي أذِن لي بنشرها ، فإني اود ان أوجّه كلمة الى القارىء العزيز .

انها صرخة خوف ، صرخة طلب نجدة. وهي تحدٍ لجميع الشبيبة المفكرة، ولا سيما في افريقيا، بل في الكاميرون بالذات، لأن الاخيرة هي البيئة التي احتضنت صديقي . هل ما يقوله صديقي في عبارته الأخيرة حق ؟ أليس هناك من جواب ؟

كل شيء يتوقف على هذا الجواب المطلوب منا جميعاً ايجاده . فلا ننزعج من لهجته الغريبة ولا من الاهانات التي احتوتها الرسالة الاخيرة ولا من الاتهامات الخالية من الانصاف . ولا نضرب صفحاً عن سؤال صديقنا او نوجه اليه سؤالاً معاكساً عما اذا كان سيتكلم بنفس اللهجة الشديدة لو انه متزوج وله عدة بنات .

فلا ندافع عن انفسنا حتى ولا عن الكنيسة ايضاً . بل لنصغِ اولاً ولنصغِ بانتباه. وبالتالي لنضع انفسنا في مكانه كشاب بائس يخاطبنا. ولنستمع اليه لأن حالته اليائسة هي حالة الكثيرين من الشبان في عصرنا الحاضر .

وبالنسبة إليّ شخصياً فان هذه الرسالة تضع امامي سؤالاً كبيراً وخطيراً ، اعني ان كنت وانا الأوروبي لا اجـد سهولة كبرى في صيرورتي مسيحياً متجدداً فلا شك ان الافريقي يحتاج الى الكثير من الشجاعة والايمان لاطاعة الله الحي .

في الوقت نفسه علمتني هذه المراسلات مجدداً ان قلب الانسان الذي يدعوه الكتاب المقدس « اخدع من كل شيء وهو نجيس » هو هو بصرف النظر عـــن اللون والجنس واللغـة . لكننا الله ينظر بعين الجدية الى قلوب جميع البشر على السواء. ولذا ما ان نقف امام الله حتى تزول المبررات العنصرية والطبقية . وهذه الثقة المتبادلة بلا تحفظ بين مخلوقين من جنسين مختلفين ، كما هو الحال في هذه الرسائل، تصبح ممكنة بالمسيح يسوع ابن الله فقط .

قد يكون صديقنا على عتبة أعظم اختبار في حياة الايمان. وقد يعلن الله ذاته له بكل قوة في ساعة لا ينتظرها، لأنه لا يستحيل على الله شيء. وهو غالباً يبدأ العمل عندما نعلن نحن افلاسنا من انفسنا.

تـــذكير

فيما يلي تكملة للرسائل الخاصة الـــتي نُشرت تحت عنوان « أحببت فتاة » .

اخذت بعين الاعتبار ، وانا اكتب ، مشكلات الذين كتبوا اليّ ردوداً على القسم الأول ومعضلاتهـم وعليه يكون القراء في بلدان كثيرة قد اشتركوا معي بطريقة غير مباشرة في وضع هـذا القسم الثاني . لذلك أتقدم منهم بالشكر الخالص على ثقتهم بي وعلى الخدمة التي اسدوها اليّ والى قراء المستقبل .

ونظراً لكون الكثيرين قد لعبوا دوراً في الكتابة هذه المرة فقد آثرت اختيار المقاطع والفقرات الهامـــة من الرسائل وفي بعض الحالات جمعت اكثر من رسالة في رسالة واحدة ، معرضاً عن ذكر التحيات منعاً للتكرار . وفي بعض الحالات الاخرى اخترت بعض ما جرى من احاديث فيما بيننا ووضعته في قالب رسالة .

نعم ، الاجوبة ليست سهلة . وقد تعمدت ان لا اعطي طابعـاً معيناً لمواقف معينة . كما تعمدت ذكر بعض الآراء الـتي لا احبذها شخصياً ، على اعتبار اننا جميعاً نحتاج الى تدريب لكي نرى جانبي القضية . ونحتاج بالتالي ان نكون على استعداد لشحذ افكارنا بكل جدية ورصانة . فما من احد يستطيع ان يصمم او يقرر نيابة عن غيره بل سيبقى الباب مفتوحاً امام كل واحـد لكي يتخذ قراره بنفسه امام الله .

فالتر تروبيش

ي... ٢ تموز

عزيزي القس ت. ،

اكتب اليك وانا متزعجة جداً . فها قد مرّت اربعة اسابيع دون ان اسمع من ف. شيئاً .

اني اجترىء على الكتابة اليك الآن نظراً لما عرفته عنك في الماضي من اقوال ف. ورسائله اليّ .

انت تعلم كيف تعرفنا الى بعضنا بعضاً في سيارة ركاب . كانت اختي في المستشفى وكنت راجعة بطفلها الى قريتنا ولما كان سائق السيارة مستعجلاً أقلع بسيارته قبل ان أتمكن من انزال امتعتي. فما كان من ف. الا ان حملها اليّ وهكذا صرف ليلته عندنا .

في اليوم التالي تابع سفره عائداً الى ضيعة أمه . وكما تعلم فهو بدون وظيفة منذ ان تورط مع فتاة . الا اننا كنا نراسل احدنا الآخر ، منذ ان كنت طالبة في المدرسة في ي. لكنه انقطع عن اجابة رسائلي منذ اول حزيران الماضي .

اني قلقة جداً ولا أعلم ماذا افعل . هل بامكانك ان تساعدني ؟

س.

ب... ١٠ تموز

عزيزتي س. ،

يسرّني انكِ كتبت اليّ . اني اشعر وكأننا نعرف بعضنا بعضاً رغم اننا لم نلتقِ قط . بل اني اشعر وكأنني اعرفك اكثر من سواكِ ممّن اتقابل واياهم في كل يوم . ويعود الفضل في هذا الى ف. الذي أفاض في وصفك لنا من خلال احاديثه ورسائله .

انت تعلمين كم كان ف. قريباً الى قلبي منذ ان كان تلميذاً في المدرسة . وهذا كافٍ لأن يوحّد بيننا بل ان يجعلنا حلفاء في معركتنا الواحدة .

انك اتيتِ على ذكر مشكلته مع تلك الفتاة وعلى يأسه القاتل بعد فقدان وظيفته . من حسن الحظ ان ف. كتب اليّ فوراً وبعد ذلك توالت الرسائل في ما بيننا بصورة مفصلة. واعتقد انك على علم بهذه الأمور ولو من بعيد على الأقل .

كان ف. مستاء فوق كل شيء من كنيسته التي حرمته الشركة. فأحس وكأنه صار منبوذاً ، فتولدت المرارة في قلبه حتى خفت ان يفقد ايمانه بالله .

لكن العجيب ان العكس حدث : ازداد ايمانه عمقاً وقبل الغفران . فما عمله الله معه فاق كل اعمال البشر . لقد رضي ان ينكسر امام الله كانسان حقير ، فطرح نفسه بين ذراعيه بعد ان رآه في عظمته وجلاله .

ما اسعد تلك اللحظة وما أعظمها ! يجدر بك ان تشكري الله جداً لأن زوجك المقبل قد أخذ على نفسه هذا التصميم .

جاء لقاؤه بـك في طريقه الى البيت بعد مقابلته لله مباشرة . أهو مجرد حظ أم صدفة ؟ في نظر ف. كان الأمر غير ذلـك : كان دليلاً على ان الله لم يتخلّ عنه بل يحبه رغم كل شيء ، وهـذا ما عزز ايمانه . وبسببك انتِ وجـد من السهل عليه ان يضع ثقته في الله .

لذلك ، لمـا فهم قصد والدك ، أصيب بصدمة عنيفة رجرجت ايمانه . فقام على الفور وخطّ اليّ رسالة ملؤها الغضب تصح ان تعتبر نموذجاً لرسائله . انك تعرفينه مسبقاً : ما ان تبرز عقبة امامه حتى يهمّ بالتخلي عن كل شيء بما في ذلك الايمان والحب والله والوطن والكنيسة وأنا وأنت .

وهاك بضع فقرات من رسالته :

« أؤثر الموت على حياة خالية من الحياة » .

« أندد بالمسؤولين في بلادنا الذين يأكلون مال الفقير عوض القضاء على احتكارات الأغنياء » .

« أندد بالمجتمع المستبد وهذا الظلم الذي يحتم على الفتاة ان تتزوج ممن يختاره اهلها حفاظاً على ميزان العائلة المالي » .

« استنكر استغـلال الاباء لأولادهم اكثر من استغلال أية دولة اجنبية لنا .. » .

« أندد بالآباء الذين يستخدمون بناتهم لتسديد ديونهم لأنهم كسالى لا يحبون العمل » .

« أندد بالكنيسة ... التي تعاقب عوض ان تساعد » .

« لماذا يريني الله طريقه دون ان يقدّرني على السير فيها ؟ وان

كان الزواج عن حب رهناً بالاغنياء فلماذا لا يرسل لي الله المال اللازم من السماء ؟»

هذه الرسالة هي بتاريخ ٣ حزيران وما عدت سمعت منه منذ ذلك الحين . لقد أعدت قراءتها اكثر من مرة وكنت في كل مرة اشعر انها رسالة هامة . فهو مخلص في غضبه . ولو انه يندد بكل شيء وكل شخص عداه . انه يتصرف وكأنه الشاب الاول والوحيد الذي يواجه صعوبات كهذه . ولكن ما العمل ان كانت هذه هي شخصيته ؟ انه من النوع الذي لا يبالي ما دامت المشكلات بعيدة عنه ، ولكنها اذا دنت منه فانه سرعان ما ينهار .

رسالته هذه لا يجوز ان تبقى من غير ردّ . فهو عبّر عما يجول في خواطر الكثيرين . وأنا لم اعرف ماذا اقول في بادىء الأمر ، كما انني لم أرد ان أوجّه اليه رداً بسيطاً قد لا يفيده في المدى الطويل.

كنت افكر ، عند وصول رسالتك، في ما يجب ان ارد به عليه بطريقة نافعة وفعالة . لذلك اطلب اليك يا س. ان تصنعي معي هذا المعروف وهو ان تجيبي انتِ على رسالة ف. فانك تقدرين ان تكوني اكثر نفعاً وعوناً له . اثبتي له ان الحب ليس منطقة محرمة في افريقيا كما يظن كثيرون . فما رأيك في ان نتحالف معاً في معركة زواجكما ؟

ليست القضية قضية مال بل ايمان. اظهري له ان الحب لا يندّد ولا يهدد بل يجاهد ويناضل .

ثمة فقرة لم اقتبسها من الرسالة تقول: «أندد بالفتيات اللامباليات المستسلمات هكذا لعنة .. اللواتي يسمحن لوالديهن ان يفعلوا ما

شاءوا ومن ثمّ يبـــدأن بالتذمر من زواجهن الذي يكون اسوأ من السجن داخل اسوار او اسلاك شائكة ».

انتِ وحدك تقدرين ان تردي على هذا التعيير . برهني له ان بعض فتيات افريقيا هم من طراز آخر .

لي ملء الثقة بك وسأتكل عليك .

ت.

ي... ٢٠ تموز

عزيزي القس ت. ،

يوم أمس فعلت ما اوصيتني به وأجبت على رسالة ف. كان عليّ ان اصارع طويـلاً مع نفسي لأني في بادىء الأمر لم اشعر بأي دافع لعمل ذلك ولكني نجحت اخيراً بالمحاولة وهاكَ النتيجة طيّ رسالتي هذه .

لا تخلو الرسالة من بعض الأمور الصعبة ولذلك ما زلت خائفة من ارسالها .

قضيت الليلة الفائتة بطولهـا وأنا افكر في ما يجب ان افعل . فرأيت ان ابعث بالرسالة اليك اولاً لتطلع عليها وان امكن لتطلع زوجتك عليها . فان وجدتها مناسبة فعندئذٍ ارسلها اليه .

من الصعب جداً ان يكون الانسان مخلصاً للغاية دون ان يجرح

ويؤلم . ولهذا انا متخوفة من ردّي هذا . فما رأيك لو حذفت العبارة الاخيرة منه لأنها ولا شك عنيفة جداً ؟

س.

ي... ١٩ تموز

عزيزي ف. ،

أحب شاباً اسمه ف. وأرجو ألا تشك في ذلك لحظة واحدة عند قراءتك هذه الرسالة .

أحسست بانجذاب اليك منذ اللحظة الاولى التي تقابلت فيها وإياك في سيارة الركاب ، ولاسيما حين ساعدتني في حمل امتعتي الى البيت . بل شعرت بمزيد من الانجذاب اليك لأنك لم تحاول في تلك الليلة ان تراودني عن نفسي . فأدركت عندئذٍ انك لم تكن مهتماً بجسدي بمقدار اهتمامك بي شخصياً. بكلمات اخرى ، لم تكن تفكر في نزوة عابرة بل في شركة تدوم مدى الحياة .

ولأني احبك اجترىء على توجيه هذه الرسالة الصريحة اليك : لقد اطلعني القس ت. على مقتطفات من رسالتك اليه في ٣ حزيران وطلب مني ان أردّ عليها وأقول لك رأيي فيها .

عند قراءتي الرسالة خجلت عنك في اول الأمر . اما الآن فأنا أرى سبب انقطاع رسائلك عني طيلة هذه المدة .

عزيزي ف. ، اني افهمك جيداً ورسائلك كلها محفوظة لديّ . وكلما أعدت قراتها كلما فهمت مقدار صدمتك من والدي . وأنا اعلم انك فقير الحال وانك فقدت وظيفتك . وهذا ما يجعلني اقدر عظم حبك لي .

قد تكون مصيباً في كون الكنيسة قد فشلت في بعض مهمتها . ولا شك في انك محقّ في قولك ان بلادنا فيها الكثير من الظلم والاستبداد. انما لا يغرب عن بالك انه عند اصطدام الجديد بالقديم فجأة فلا ينتظر ان تكون النتيجة غير ذلك. ولا تنسَ ان التغييرات الثورية في اوروبا اقتضت قروناً عدة في حين أنها تتم في افريقيا خلال جيل واحد .

ولهذا فالعادات النافعة غالباً ما يساء استعمالها ، على حد تعبير الراعي ت. وفي هذا ليس الأوروبيون فقط مذنبين، بل نحن ايضاً. وهنالك شيء نافع فيما يختص بمهر العروس ، فهو يرينا، نحن البنات، ما قيمتنا بالنسبة للرجل . وهكذا نحن اننا نحب من يدفع نيابةً عنا ، ويحارب عنا ، ويتغلب على الصعوبات في سبيلنا .

سبقت فقلت في بدء رسالتي هذه : « أحب شاباً » . فالشاب ، الرجل ، لا يهدد ويندد فحسب بل يجاهد ويناضل ايضاً . ان الاستنكار والتنديد بالله وبالعالم اجمع لا يجدي نفعاً ولا يجري تغييراً. فان كنت تجاهد فأنا احترمك ، وان كنت احترمك فأنا أحبك . أناشدك ان تناضل من أجلي ومعي في سبيل زواجنا .

لن أتركك وحيداً بل سأجاهد معك. انك على حق في ما ذهبت اليه من ان معظم الفتيات يستسلمن للأمر الواقع دون مقاومة او

تعبير عن ارادة . فلن ادافع عنهن انما س. التي تحبك هي بخلاف ذلك .

اعلم انه كلما ناضلنا سوية كان لزواجنا قيمة . اما ما يأتينا بسهولة فليس بذي قيمة ولا يعزز روابطنا .

اني متيقنة بأن الله جعل الواحد منا للآخر. اما كيف سيتم ذلك فلا أعلم . كل ما في الأمر اني متأكدة من ذلك . ثم لا أعرف كيف سيتم تدبير المال او كيف سيغيّر والدي رأيه او حتى كيف ستحظى بوظيفة اخرى . مع هذا فأنا أعلم في قرارة نفسي انه بطريقة ما ، وفي يوم من الايام سيكون أحدنا للآخر .

ان الله لا يقدم لنا عونه بسكب مالٍ من سمائه في احضاننا لكنه يسير معنا خطوة فخطوة خلال جميع الصعوبات، هذا ان كنا نبقى ممسكين بيده . فما نحتاجه ليس المال بل الايمان والثقة بالرب .

مرة اخرى اكرر اني احبك . ولكني أحب ف. الشاب ، وليس ف. الجبان .

س.

ب... ٢٢ تموز

عزيزتي س.،

قرأ عليّ زوجي رسالتك الى ف. بناء على طلبك . وبالفعل فقد أصبت كبد الحقيقة دون ان تحيدي عن غرض المحبة الصادقة .

بادىء بدء اصارحك اني لم أكن أحلم ان في استطاعة فتاة في سنّك ان تحرر رسالة من هذا العيار . فأنا جد مسرورة بك وآمل ان نتمكن من التعرف الى بعضنا بعضا بأسرع ما يمكن .

نعم ، انا أعلم كم هو من الصعب ان نساعد الآخرين دون نجرحهم احياناً . فالطبيب لا يقدر دائماً ان يشفي باستعمال مرهم لطيف بل يستعمل المبضع احياناً ليستأصل المرض . هكذا هي الحال في الزواج : على الواحد منا ان يكون طبيباً للآخر .

والقادر ان يشفي له وحده الحق في ان يجرح . ولهذا تتجاسر المحبة وحدها ان تجرح بضمير صالح . فهي قادرة على ذلك بل يجب ان تفعل ذلك . لان المحبة الحقيقية ليست بالشيء الشعوري الركيك، بل هي ثابتة وجسورة .

وقد اعجبت فوق الكل باكتشافك العلاقة التي تربط بين الاحترام والمحبة .

كتب مارتن لوثر في شرحه لوصية « لا تزنِ » قائلاً : « ما معنى هذه العبارة عندنا ؟ انها تعني ان نخاف الله ونحبه بحيث يكون كلامنا وسلوكنا من ناحية الجنس طاهراً وشريفاً كيما يتبادل الزوجان الحب والاحترام » .

ثمة علاقة بين الحب والاحترام. بَيد ان للاحترام معنى أعمق جداً مما تفكرين . انه يعني التقدير واكتشاف الأمور الجديرة بالمحبة حتى ولو لم يرها أحد من الناس . وأعتقد ان المرأة الصادقة في حبها تحب زوجها في أضعف ساعاته – ساعات الفشل والهزيمة – ولا تقدر ان تفعل ذلك الا اذا احترمته على هذا النحو .

ابعثي اليه برسالتك ولا ترهبي . فالرسالة جيـــدة والله يبارك الشجاعة والاخلاص . فان استشاط ف غضباً فان زوجي كفيـل باعادته الى حالته الطبيعية . انما تذكري ان « لا خوف في المحبة » انغريد ت.

أ... ٢٧ تموز

سيدي ،

... وهكذا نجحت في اعادتي الى الكتابة اليك مرة ثانية. . . ها قد استلمت رسالة س. التي قرأتها أنت ايضاً . انك بالفعل كنت ماهراً في استخدامها لهذه الغاية . فأنت تعرفني جيداً وتعلم موطن الضعف فيّ ...

غـير ان وقع الرسالة على قلبي كان له مفعول عكسي ، فهي لم تفتقدني فحسب بل أهانتني . كنت أظنها ملاكاً لكن الملاك كشّر عن أنيابه ...

ولكن لا بأس . فعلى الأقل أعرف أين انا الآن . بـل انني مسرور لانها بعثت اليّ بهذه الرسالة التي برهنت لي اني كنت واهماً، كما انها جعلت خيبة أملي التي اصبت بها أيسر احتمالاً .

اني عملت ما عملت بالفتاة الاولى لانها أنكرت عليّ رجولتي . وهذه سأتخلى عنها لانها تقول اني لست رجلاً . اذكر انك كتبت لي

ذات مرة قائلاً : « الشجاعة الحقيقية هنا معناها الهرب » . وهذا ما سأفعله .

مـــاذا يقول الكتاب المقدس في رسالة افسس ٥ : ٢٢–٢٤ ؟ سأكتب لك الآيات ، سيدي الراعي ، لـكي لا تحتـاج ان تطلعها بنفسك :

٢٢ – ايتها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب .

٢٣ – لان الرجل هو رأس المرأة كما ان المسيح هو رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد .

٢٤ – فكما تخضع الكنيسة للمسيح هكذا النساء لرجالهن في كل شيء .

في كل شيء ! فان كانت تعاكسني الآن فماذا بها تفعل بعد ان نتزوج ؟ انا كغيري من الرجال في افريقيا اريـــد زوجة تطيعني طاعة غير مشروطة في كل شيء . هذا ما يعلمه الكتاب المقدس . فكما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن . فالمســـألة واضحة ولا تحتاج الى أخذ وردّ .

كانت الرسالة بمثابة انذار او تحذير لي وأنا اشكرك عليها .

ف.

ب.. ٣ آب

عزيزي ف. ،

هذه عين ردة الفعل التي توقعتها منك فأنت غبي يا ف وأكرر انك غبي جداً .

لقد اطلعت على رسالة س. اليك قبل ان ترسلها . وبناء على طلبها اطلعت زوجتي عليها . وكلانا نتمنى ان يقرأها الكثيرون من الآباء والأمهات ، والشبان والشابات ، لا في افريقيا وحدها بل ايضاً في اوروبا ، فالرسالة رائعة فوق المعتاد وقد حركت عواطفنا من الداخل .

اسمع يا ف. ! ان س. ليست قطعة من خشب ، ولا طفلة ، ولا حيواناً بلا ارادة ، ولا خادمة ، بل فتاة ناضجة جداً . واني اهنئك على ايجادك فتاة من هذا الطراز . فأنت لا تعلم ما أعظمها هبةً ان تحبك فتاة مثلها .

يبدو انك كتبت لي وانت غاضب إثر قراءتك الرسالة مرة واحدة لا غير . كان يجب ان لا تفعل ، بل ان تنام على الرسالة ليلة واحدة على الأقل لتعطي نفسك مجالاً للتفكير . انصحك ان تعيد قراءتها بتؤدة وهدوء . ألا تتصور كم كان عسيراً على س. ان تكتب تلك الرسالة ؟ وانها قالت لك ما قالت فقط لأنها تحبك ؟ ألست تعلم ان المحبة ليست عمياء بل مبصرة بكلتا عينيها ؟ انها ترى بوضوح مواطن الضعف والاخطاء في الشريك الآخر ، ومع ذلك فهي تحبه رغم الاخطاء .

سألتني مرة كيف يستطيع المرء ان يعرف انه يحب بصدق ،

وكان جوابي لك : المحب يتغاضى عن سيئات المحبوب . طبعاً هو لا يحب سيئاته بل يحبه رغم تلك السيئات لأنه يحس بمسؤوليته نحوه .

ان س. تحبك بهذه الطريقة . فعوضاً عن ان تشكرها اذا بك ثائر غاضب عليها . أم انك ظننت انك خالٍ من الاخطاء ؟ قد يكون من غير الممكن ان تحب انساناً لا اخطاء له ...

كن مخلصاً . ان كل ما قالته س. هوحق . ومشكلتك هي انك تفشل وتستسلم بسرعة .

نعم انا أفهم ان الانتقاد يجرح ولا سيما ان كان في موضعه. وكلنا حسّاسون من هذه الناحية . فالرجل يشعر بمزيد من الحساسية ان كان النقد موجهاً اليه من امرأة ، وهذا يصح على بلادنا ايضاً . غير انني أعتقد ان الرجال في افريقيا هم اكثر حساسية في هذا المجال . والسبب هو ان المرأه ليست بمساواة الرجل . والانسان بطبعه لا يقبل انتقاداً يوجّه اليه ممن هو أدنى منه . وهذا هو سبب الفراغ والملل في زواجات كثيرة .

أعرف صديقاً كتب الى خطيبته قبل زواجه بها عما يتوقعه منها كزوجة في المستقبل . وسأقتطف لك بعض ما جاء في تلك القائمة الطويلة . فقد افتتح رسالته بالعبارة التالية :

« يجب ان تحفزني على الاعمال الكبيرة بانتقادها اياي بكل اخلاص» . واستأنف قائلاً: « اذا استاءت مني فلا يجب ان تنزع ثقتها مني » . « ويجب ان تعمل دون كلل على اصلاح نواحي الضعف في حياتي» . «ولا اريدها ان تتظاهر بالرضى بل ان تخبرني باخلاص عما اسأت اليها به» . أتفهم هذا ؟ فما أراده لم يكن فتاة تقوم على خدمته

بل شريكة مساوية له تقف الى جانبه امام الله . وبشريكة كهذه يمكن المرء ان يصير « جسداً واحداً » بكل ما في العبارة من معنى. أي انه يصير كائناً حياً جديداً . ان الشركة تتضمن حق توجيه الانتقادات .

ولنأتِ الآن الى رسالة أفسس ص ٥ . ان كنا نختار بضع آيات من الكتاب المقدس لنثبت صحة رأينا ، فالواجب يقضي بأن نكون حذرين. لان آيات الكتاب المقدس ليست خاتماً رسمياً نقول به للعالم: « انظروا فان الله نفسه يوافقني الرأي » .

كلمة الله هي كمطرقة تحطم الصخر وكسيف يخترق دواخلنا ويجرحنا ويصلحنا ويغيّرنا . أي ان كلمة الله تتحدانا الى أقصى حد. فأنت اقتبست الآيات ٢٢ – ٢٤ لانك وجدت فيها ما يناسبك ، وأشكرك جداً على كتابتها . الا انني لم أكتفِ بذلك بل فتحت كتابي المقدس وقرأت الآيتين ٢١ و٢٥ ؛ فالآية ٢١ تنبّه على ان الخضوع بين الزوجين هو عمل متبادل . تقول الآية : خاضعين بعضكم لبعض في خوف الله ». وتليها الآيات التي اقتبستها أنت والتي تشرح معنى ذلك من جانب الزوجة . اما الآية ٢٥ فتتحدث عن معناه من جانب الزوج ولكنك أهملت ذكر تلك الآية القائلة : « ايها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح ايضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها » .

انها عبارة جد مهمة لدرجة ان حياة بكاملها لا تكفي لاستيعاب عمق معناها .

كيف أحب المسيح كنيسته ؟ قام على خدمتها واعانتها والعمل لاجلها ، بل ابرأها وعزّاها ونقّاها . وبالنسبة اليه كانت الكنيسة

كل شيء ، ولذلك بذل كل شيء لاجلها حتى حياته .

ألا ترى كيف ان كلمة الله تصير سيفاً قاطعاً يخترقنا ويجرحنا ؟ فالمسيح لم يكن كما نريد نحن الرجال ان نكون : زعماء او اسياداً ، نحتاج الى من يخدمنا ، بل كان عبداً لكنيسته . اقول : « عبداً » لان هذه الكلمة تخدش آذانكم أنتم الافريقيين . وكونه عبداً لكنيسته يجعله رأساً لها . هكذا لا تقدر أنت ان تكون رأساً لزوجتك الا بمقدار ما تكون عبداً لها .

وحتى في تلك الايام لم تكن الكنيسة طائعة له كل الطاعة – لكنها تخلّت عنه بعض الوقت وما زالت كذلك حتى اليوم .

لك مآخذ كثيرة على الكنيسة ، وكذلك انا. فهناك اشياء كثيرة غير مستحبّة فيها ولا سيما ما فيها من خصومات ومشاحنات ومع ذلك فهذه هي الكنيسة التي أحبها المسيح ومات لأجلها . وبمحبته جعلها جديرة بالمحبة .

فان أطاعته الكنيسة فانما هي تفعل ذلك طوعاً لا قهرا ، لأن الكنيسة بدون يسوع لا تقدر ان تعيش كما ان الجسد لا يقدر ان يعيش بدون رأس .

ألست تعلم ان س. تريد شيئاً واحداً فقط وهو ان تكون مرتبطة بك كارتباط الجسد بالرأس ؟ وبانتقادها اياك تريد ان تبلغ أمراً واحداً ألا وهو ان تكون أنت ذلك الرأس الذي تطيعه بكل سرور ؟

لهذا هي تطلب اليك ان تجاهد من اجلها كما ان المسيح صارع لأجل كنيسته ، وجهادك من اجلها هو الخدمة التي تؤديها لها .

والشجاعة هنا ليست في الهرب بل بصيرورتك ناضجاً .
لذلك يجب ان تذهب الى ي. على جنـاح السرعة لتقابل س. وتتحدث وإياها .

ت.

إ... ١٤ آب

سيدي العزيز ،

وايضاً ما هذه الرسالة ؟ لو لم أكن أعرفك جيداً لكنت مزقتها توّاً . ماذا اقول عنها ؟ يا لها من عظة جميلة !

انه لمن المؤسف حقاً ان تنظر دائماً الى الامور وإحدى قدميك في السماء والاخرى على الارض . فأنت لا تقدم اليّ أية حلول عملية لمساعدتي . ان الاقتراح العملي الوحيـد الذي وجهته اليّ وارد في السطور الاخيرة . وحتى هذا يستحيل وضعه موضع التنفيذ . فكيف تظن اني أقدر ان ألتقي س. ؟ ان اصطحبتهـا معي بعد المدرسة فالخبر ينتشر حالاً في البلدة كلها، وتليه الأقاويل القذرة. فهي تعيش في بيت خالها وانا لا أجرؤ حتى على الذهاب الى هناك . ثم لا يوجد في كل البلدة حديقة عامة واحدة لهـا مقاعد نجلس عليها ولا أنا أملك سيارة . لو كانت لي سيارة لكان لديّ ايضاً بعض المال الذي يسهل لي الزواج .

انت لا تذكر شيئاً عن المال بل تكتفي بالحديث عن المحبة، مع العلم ان المال والمحبة لا ينفصلان في الكاميرون . فالذين يستطيعون الاقدام على الزواج هم ذوو اليسار فقط .

لهذا السبب احتاج الى المال . ولا اقدر الحصول عليه الا بالعمل وانت تعلم اني كنت معلماً في احدى مدارس كنيستكم لكن الكنيسة استغنت عن خدماتي .

وبالاضافة ،ان كان المسيح رأس الكنيسة، والكنيسة هي جسده، والاثنان واحداً ، فكيف يمكن ان نوفق بين صفح المسيح عني وبين عدم صفح كنيسته ؟

ثم ايضاً ، انا اعيش على نفقة نفسي فيما يتكل غيري من الشبان على آبائهم او عائلاتهم . وهاك صورة عن وضعي :

كان لجدي ثلاثة بنين : طوني وموبس وأوتو . ولم يكن طوني ، الابن الاكبر ، مؤمناً حقيقياً اذ انه اتخـــذ لنفسه زوجتين . وكان موبس ، الابن الاوسط ، معلم دين وله زوجة واحدة انجبت له اربعة اولاد : صبيين وبنتين . اما أوتو، الاصغر، فكانت له زوجة واحدة اسمها مرثا وهذه انجبت له ابناً واحداً سمي جاك .

مات أوتو واصبحت مرثا ارملة . وهذا المصير من أشنع المصائر في افريقيا . فعندما تموت الزوجة فلا يكون في الأمر مشكلة كبرى على الزوج ، لأنه يشعر وكأنه خسر متاعاً يمكن الاستعاضـــة عنه بآخر اذا اقتضت الضرورة . اما الارملة فتصبح بموت زوجها كمتاع خسر صاحبه ، ومن ثمّ عاجزة ضعيفة .

وهكذا صارت مرثا ارملة وفي معيّتها ابنها جاك ، وكان من

المفروض في مويس ، بصفته الثاني في العائلة ، ان يتزوج مرثا . ولكن الامر لم يكن ممكناً لانه كان مؤمناً ومعلماً للدين ، عدا عن ان كنيسته لا تسمح له بأكثر من زوجة . وهذا شيء صعب . ففي حالات كهذه تكون عاداتنا وتقاليدنا اكثر رأفة من غيرها . والبرهان ان مويس معلم الدين لم يجسر ان يكون رحيماً ، لكنه اخذ جاك ، الذي كان في العاشرة من عمره ، الى بيته وقام بارساله الى المدرسة . وهذا كل ما قدر عليه .

فلم يبقَ امام مرثا سوى طوني الذي اتخذها لنفسه زوجة ثالثة : الا انه كرهها منذ البداية وكره معها الديانة المسيحية . فأهملها وأساء معاملتها وسامها مرّ العذاب . فلا اعطاها ثياباً ، ولا احذية ، ولا كوخاً تطبخ فيه ، حتى ولا قطعة صابون . مع ذلك انجب منها ولداً لا غير ، وذلك الولد هو انا .

كان لطوني قبلاً ولد واحد من زوجته الثانية المفضلة عنده . ولذلك لم يعترف بي ابناً له . أمي وحدها اعتنت بي لكني كنت مُهْمَلاً قذراً . أصبت بمرض جلدي لانه لم يكن لديها صابون تغسلني به . وبالجهد استطاعت ان توفر لي الثياب فكنت اخجل من الذهاب الى المدرسة . وفي ذات يوم هربت وهمت على وجهي حتى وصلت الى مركز الارسالية . ومن هناك فصاعداً انت تعرف قصتي ...

أتفهم الآن لماذا لا اتوقع مساعدة من عائلتي ؟ فأنا غير موجود بالنسبة لوالدي وعلى الأخص لاني صرت الآن مؤمناً . وليس لي سوى أمي التي لها بستان تعيش منه . فلا امل لي بأن أرث شيئاً . وحتى

لو مات ابن ابي المفضل فهناك اخي جاك وابنا عمي مويس الذين لهم الأفضلية عليّ .

وانت ما زلت تقول لي اذهب لمقابلة س. فهـــل اذهب صفر اليدين ؟ كلا .

ف.

ب... ٢٠ آب

عزيزي ف. ،

شكراً لانك اطلعتني على كامل قصتك . لقد مضى على معرفة الواحد منا بالآخر حوالي عشر سنوات ولم نصل الى هـذا الحد إلا بعد انقضاء هذا الوقت الطويل . فتأمل ...

لقد كشفت لي رسالتك مرّ واقعنا نحن المرسلين من حيث اننا سفراء غير صالحين لإلهنا . عندما اتيت اليّ منذ عشر سنوات اخبرتني كيف ان والدك لم يبدِ اهتماماً لا بك ولا بأمك . وكان ذلك صحيحاً . انما لم يخطر لي في بال مقـــدار الألم والمرارة وراء قصتك تلك . فاستقبلتك في المركز ولم احاول الاستفسار اكثر عن حالتك .

نحن دائماً نرتكب هذا الخطأ : لا نقوم بمزيد من الاستفسار ولا نرغب في مزيد من المعرفة لاننا نخاف من المسؤولية ونخاف ان ننهار تحت عبء الحمل .

نحن المرسلين نظن ان مجرد مجيئنا الى افريقيا هو عمل كاف بحد ذاته . نعم نحن نشاهدكم يومياً في الاجتماعات وفي المدرسة ، الا ان هوّة كبرى تفصل بيننا .

نحن أكسل من ان نضع أنفسنا مكانكم او ننظر الى الامور بمنظاركم . بالعكس نحن نغمض عيوننا وننادي بالانجيل كما لو انه ناموس ليس الا . وبهذا نحن نشبه رجلاً يطلق الرصاص وهو معصوب العينين ، فلا يدري من يصيب . وقد يصيب اماً حاملة طفلها، ومع ذلك لا يبالي .

كم يجب ان يكون المسيح خجلاً بمرسليه . لما قرأت رسالتك خجلت من نفسي ومن الرب ، لاننا غير لطفاء وبليدون في تفكيرنا . فالذي له زوجة واحدة يصبح معلماً للدين . والذي له زوجتان مفصول من الكنيسة مع انه بالفعل يلعب دور السامري الصالح في قصتك .

بالحقيقة ليس هناك حل واحد يمكن تطبيقه على جميع الناس . نحن لا نستطيع ان نقول: هذا صواب للجميع وذاك خطأ للجميع . والمحبة لا تعرف الكسل. فمن واجبنا ان نأخذ على عاتقنا، من باب المحبة ، مسؤولية معرفة ارادة الله لكل حالة من الحالات . أرجو ان تسامحني لاني تجنبت عمل المحبة والاستفسار اكثر عن حالتك .

انما ثمة شيئان اتضحا لي من رسالتك. الاولى هو هذا : ان تعدد الزوجات ليس حلاً ، وأنت أعرف مني بهذا لانك خبرت الشيء بنفسك .

سألتني مرة ان كان في وسع الرجل ان يحب اكثر من امرأة

في آن واحد . وها أنت ترى الآن ان ذلك مستحيل . فاما ان لا تكون علاقة بين الرجل وزوجاته وإما ان تكون هناك زوجة مفضلة . وفي جميع الحالات يبقى هناك نقص وفراغ، حسد وبغض . والكتاب المقدس نفسه يشهد لهذه الحقيقة بوضوح حين يتحدث عن تعدد العلاقات الزوجية .

تصوّر ، لو ان الابن المفضل لأبيك مات الآن، أيّ خلاف يمكن ان ينشب حول الميراث . من يقدر ان يحل عقدة حقوق الفئات المتخاصمة ؟ وأي عراك كان يحصل ، حتى عن طريق السحر ايضاً ، بين الاخوة وابناء الاعمام ؟ طبعاً نحن لا نتمنى حصول شيء كهذا .

والشيء الثاني الذي توضحه رسالتك هو هذا: ان الله حقق قصده في حياتك بالرغم من كل هذا الخليط في عائلتك وبالرغم من جرم الارسالية . فالله دعاك غصباً عن كل شيء آخر .

لا شك ان يد الله كانت في كل ما حصل : في آلام أمك وفي عدم محبة والدك لكما .

والله نفسه هو الذي جمعنا معاً ، فخلصك وأخذ بيدك واقتادك رغم عصيانك ورغم اخطائي انا — أعني انه اقتادك الى س. ، فما اعظم عمل الله ! لم يتقاعس عن العمل ولم يفشل ولو انه كان في الامكان ان نفشل كلنا .

قلتَ ان رسالتي لك لم تكن عملية بصورة كافية. فأنا لا أستطيع ان اريك اكثر مما أراني اياه الله . وغالباً ما لا يرينا الله الحل النهائي بل يقودنا خطوة خطوة .

يقول المزمور ١١٩ « سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي » فالله لا

يعدنا بأنوار كشافة تنير لنا كل الطريق بل بسراج لأقدامنا فقط . والسراج ، كما تعلم ، لا يضيء كل الطريق بل مسافة قصيرة فحسب.

الخطوة الاولى التي يجب ان تقوم بها هي ايجاد عمل مرة ثانية . ويسرني انك فكّرت بالأمر من تلقاء نفسك . أنصحك بزيارة القس عاموس ، على ان تطلب منه ان يعيدك الى وظيفتك . وانا سأكتب اليه ايضاً كيما يذهب لمقابلة والد س. نفسه . أهذه خطوة عملية كافية في نظرك ؟

اكرر مرة اخرى ، دون أدنى ريب ، انك يجب ان تتقابل مع س. لا تضطرب من جهة كيفية الاجتماع فالمرأة تفكر بقلبها لا برأسها وغالباً مـــا تكون من النواحي العملية اكثر سرعة من الرجل ضع ثقتك في س. ولا تنسَ ان الحب يسبح في بحر من الخيال.

ت.

ب... ٢٠ آب

عزيزتي س. ،

لقد كتب لي ف. ثانية وهو الآن على الاقل خارج مخبإه . ويعود الفضل في ذلك الى رسالتك الحلوة اليه .

كوني الآن مستعدة ، لانه قد يكون في انتظارك خارج المدرسة

بعد ان يعاد فتحها من جديد . يحسن بكِ ان تخططي منـذ الآن أين يمكنكما الذهاب حتى تتمكنا من التحدث معاً بهدوء وسلام...

ت.

ب ... ٢٩ آب

عزيزي القس عاموس ،

اني أكتب اليك اليوم بشأن ف. الذي تعرف قصته . انه الشاب الذي قمتُ انا بتعميده وانتَ بتثبيته ، ثم أصبح معلماً . واعتقد انه كان مفلحاً في عمله طيلة ثلاث سنوات . ثم تورط مع فتاة وعُرف أمره بين التلاميذ مما أدى الى صرفه من العمل . أعتقد شخصياً ان الفخ الذي نصب له كان مدبراً . لكنه عُزل من عمـله وحُرم من الشركة على مائدة الرب مدة ٦ أشهر .

بعد ذلك تبادلت وإياه بضع رسائل . تجد طيّه بعضاً منها كي تتمكن من تكوين فكرة عن الموضوع . وفي النهـاية تقابلت وإياه وأجريت معه حديثاً جدياً بغية مساعدته وتوجيه النصح اليه . وقد ترتب عن ذلك اعتراف صادر من الأعماق . لا أقدر ان أبوح بأكثر من هـذا لان اسرار الاعتراف مطلقة . ولكني اشهد كمرشد له انه كان جاداً في توبته وانه قبل صفح الرب له، كما انه صمم على ان يبدأ بداية جديدة في حياته .

يجدر بنا ان نقف الى جانبه وندعمه في هذه البداية الجديدة . وانت تعلم ان الايمان يتعرض لتجارب عنيفة بعد تحوّل كامل كهذا وخصوصاً متى كان التحـول صادقاً . ثم ان الشيطان يشن هجمات شديدة على من يتخذ تصميمات من اعماق قلبه . ولهذا يجب ان نظهر محبتنا الاخوية نحو ف. في خطواته الاولى في الحياة الجديدة .

اولاً ، اطلب اليك ان تسمح له بالاشتراك في عشاء الرب . انا اعلم ان السر المقدس في العهد الجديد لا يجوز ان يعطى لمن يصرّون على الخطية جهاراً رغم كل الانذارات والتحـذيرات . ومن ناحية اخرى لا استطيع ان اجـد حادثة واحدة وضع فيها انسان تحت التأديب الكنسي بعد ان تاب بصدق واعترف بخطاياه

على عكس هـذا ، اني اشجع ف. على تناول الشركة في المرة القادمة . فلربما بعد هزيمته تلك يفهم ويختبر للمرة الاولى قيمة الشركة مع يسوع .

عندما نستثني الخطاة التائبين مـن عشاء الرب فعندئذٍ تصبح الفريضة على النقيض تماماً : تصبح موكباً من الابرار الذين يعلنون إما انهم لم يفعلوا خطية وإما انهم لم تمسك عليهم خطية .

لما رجع الابن الضال الى بيته بعد الحياة التي قضاها مع الزواني ، لم يتركه ابوه ستة اشهر في غرفة خلفية ليرى ان كانت توبته صادقة او لا ، بل عانقه وقبله فوراً كابن له وأكل معه دليل مسامحته اياه .

وهذا ما اغضب اليهود آنذاك ، لأن يسوع كان يأكل مع الخطاة . وكان هـذا بالنسبة اليهم نوعاً من التجديف . وفي النتيجة طالبوا بصلبه . اني اسائل نفسي : ألا نغضب نحن ايضاً ؟ ألسنا نصلب يسوع

ثانية حين نمنع الخطاة التائبين ان يشتركوا معنا في المائدة ؟

هذه مشكلة ف. الحقيقية . فهو كتب لي قائلاً : لقد سامحني المسيح اما الكنيسة فلم تفعل . فهل الاثنان شيئان مختلفان : يسوع المسيح والكنيسة ؟

وعليه ألا تعتقد انه في الامكان اعادة توظيف ف. كمعلم ؟ لا شك ان هذا سيكون دليلا على ان الذي يتحكم بالكنيسة هو الانجيل لا الناموس ، والصفح لا العقاب . ولي ما يبرّر طلبي هذا : ان ف. تعرف بفتاة وكلاهما يحب الآخر بصدق وكأن الواحد منهما خلق للآخر . إلا ان مسألة الاكلاف والمصاريف تعود وتبرز مجدداً بل تشكل عقبة كبرى له ولا سيما وان ف. لا معين له ولا معيل . فأنت تعرف الحالة جيداً ، بل انت تعرف موقف والد الفتاة من جهة الامور المادية .

هل في وسعك ان تقوم ولو مرة واحدة بزيارة هذه العائلة ؟ فأنت ، كافريقي ، تستطيع ان تدخل الى اعماق الأمور اكثر مني وتستطيع ان تحكم على الأمور بصورة افضل .

على أية حال ارجو ان توافيني برأيك ونصيحتك .

فالتر ت.

إ... ١٦ ايلول

عزيزي القس ڤالتر ،

لقد تقابلنا . وكان لقاؤنا أشبه باللقاء الاول مع س. وها كل شيء قد تغيّر الآن .

مضت عليّ اسابيع وانا أعيش مع امي في قرية صغيرة نائية . وكنت كل يوم أجلس الساعات الطوال في كوخ شاحب النور . وكانت أفكاري تدور وتدور في حلقات ، تجول في انحاء الكوخ وتتأمل الصور المقتطعة من المجلات والملصقة على الجدار وكأنها قادرة ان تحدثني وتسدي اليّ النصح والارشاد . لكن هذه الصور بقيت صامتة حتى لم أعد احتمل التطلع اليها . وهكذا بقيت داخل سجني .

اما الآن فقد تداعت الجدران وها الحرية ترتع في كل مكان ولو ان شيئاً في الظاهر لم يتغيّر على الاطلاق . فأنا ما زلت فقيراً كسابق عهدك بي ، انما الشيء الوحيد الذي حدث هو لقاؤنا مرة اخرى .

أخذني صديق لي في سيارته وكان عليه ان يرجع في الليلة نفسها. فكانت لديّ ساعتان او ثلاث ساعات لا غير .

انتظرت عند مدخل المدرسة وكان الطلاب من فتيان وفتيات يخرجون الى بيوتهم . امـا س. فلم تكن بينهم . . يا لها من دقائق حرجة !

اخيراً أطلّت علينا وكانت آخر من خرج من المدرسة . يبدو انها رأتني وكانت تنتظر خروج الطلاب كلهم . لكنها لم تنظر اليّ بل مدت يدها فقابلتها بالمثل ، تلاقت أطراف اصابعنا بنوع من عدم الاكتراث وكأننا نصافح بعضنا بعضاً بهذه الصورة كل يوم .

ثم قالت ، كما لو انها كانت تنتظرني : « امامنا اختياران لا غير . فاما ان نذهب الى مطعم 'الحمار الاحمر' او الى الكنيسة الكاثوليكية المفتوحة دائماً .

اخترت الكنيسة الكاثوليكية لانه لم تكن لديّ دراهم للمطعم . مشينا على أقدامنا مدة نصف ساعة الى ان بلغنا المكان . كنت أسير امامها وهي ورائي على مسافة قريبة حتى ان أحداً لم يعرف ان الواحد منا يخص الآخر .

لم يكن يخطر في بالي قط ان أذهب يوماً الى الكنيسة الكاثوليكية التي كانت بالفعل مفتوحة . لكني سألت نفسي : لماذا تبقى الكنائس الانجيلية دائماً مغلقة ؟

دخلنا وجلسنا على مقعد خلفي في الكنيسة ، لكننا لم ننظر الى بعضنا البعض بل كانت عيوننا مسمّرة الى قدام .

قد تسألني عما تحدثنا به وهذا ما لا أستطيع ان اعبّر عنه . ولكني أقول لك اننا لم نَقُل شيئاً يذكر . فقد كان الوضع بخلاف ما تصورت . قالت لي س. : « انا مسرورة لانك جئت » . وكان جوابي « شكراً على رسالتك » .

في الواقع كنت اريد ان أقول اشياء اخرى. كنت اريد ان اوبخها وادافع عن نفسي ولكن كل شيء تبخّر في حضورها . كنا صامتين ولا أدري كم مضى من الوقت ونحن على هذه الحالة . مرّ الوقت بسرعة . وأنت تعلم ان صمتنا لم يكن بدافع العناد بل كان تابعاً من الشعور بالانسجام والاتحاد .

كم كان من السهل عليّ في الماضي ان اقول لفتاة: «احبكِ» رغبة

مني في امتلاكها والاستمتاع بها . اما الآن ، ولأول مرة في حياتي ، فقد شعرت بعجز عن الافصاح عن ذلك حيث يجب الافصاح . وكانما الكلمات كانت أصغر وأعجز من ان تعبر عما كان يخالج فؤادي .

لم نتكلم ومع ذلك قلنا الشيء الكثير . وبدون كلام عرف الواحد منا انه يحب الآخر . وهذه الحقيقة اخترقت اعماق قلبينا كما لو انها ألم لذيذ او فرح عظيم .

تلك كانت أسعد ساعة في حياتي . وبالحقيقة يجب ان لا يتفوه انسان بكلمة « حب » قبل ان يكون قد مرّ بساعة كهذه . شعرنا وكأننا نعرف ونخص بعضنا بعضاً منذ ولادتنا . بل شعرنا اننا واحد وسيّان : هي مني وانا منها .

وفجأة تولد في قلبي هذا التأكيد : ما من شيء يقدر ان يفصلنا فيما بعد : لا قانون ولا عادة ولا أب ولا أم ولا دولة ولا كنيسة .

ثم تذكرت اننا في كنيسة . وتبادر الى ذهني اننا ، كلينا ، امام الله نتعهد ان يكون الواحد منا للآخر مدى الحياة . عندها أمسكت بيدها وهي بيدي وبقيت يدانا متشابكتين بقوة وهدوء .

والآن اسألك : ماذا يعوزني بعد ؟ أليس هذا كل شيء ؟ ألسنا نعتبر متزوجين الآن ؟ متى يبدأ الزواج ؟ أهو يبدأ بالعرس أم بالخطوبة حين يتعهد الواحد للآخر بأن يكون مخلصاً وامينا مدى العمر ؟ ها قد تعهدنا بذلك امام الله . أفلا تعتقد ان زواجنا قد بدأ ؟

لا أذكر الآن كيف افترقنا . كنت وكأنني في حلم . لقد طلبت مني ان اعود ثانية بأوفر سرعة ، وكان جوابي اني ما زلت أبحث عن

عمل . ثم غادرنا الكنيسة الواحد قبل الآخر وسار كل منا في اتجاه مغاير للآخر .

ف.

ي ... ١٦ ايلول

عزيزي ف. ،

ما ذاقت عيناي النوم حتى الساعة بل كنت أبكي كل الوقت . وكم أنّبت نفسي لاني لم اكلمك مع ان قلبي كان عامراً وكنت اريد ان اقول لك الكثير ولكنني لم أقدر. قد تظن الآن اني غير مكترثة بك او انك لا تهمني .

أرجو ان تفهم اني عجزت عن الكلام لاني كنت سعيدة جداً بلقائك . وليس لي أحد سواك .

س.

إ... ١٨ ايلول

عزيزتي س ،

لا تبكي يا س. أرجوكِ ان لا تبكي . فأنا افهمك وافهمك جيداً. لا ، لا حاجة بكِ الى الخوف وخصوصاً حين اكون معكِ .

الغلطة كانت غلطتي . كان يجب ان اكلمك وان اسألك شيئاً ولكني انا ايضاً لم أقدر على ذلك .

كم كانت المفاجأة كبيرة عليَّ : كيفية مصافحتك لي وكأنها شيء عادي ، وكيفية اعدادك كل شيء . ثم جلستِ بقربي كما لو انك لي وحدي . وكان ذلك ابلغ وأفصح من أيِّ كلام .

لقد سحرتني ... واحييتِ املي . فلقد قمت اليوم بمساعدة امي في الحديقة عوض التحديق بقضبان الخيزران التي في السقف . وكم كانت دهشة امي كبيرة .

لكِ ... ف.

ب ... ١٩ ايلول

عزيزي ف.،

اذاً كنتَ في الكنيسة الكاثوليكية ! ألمْ أقل لك ان س. سريعة الخاطر. انه لمن الصعب حقاً ان يجتمع الفتى بالفتاة في افريقيا، وعلى الكنيسة ان تذلل هذه الصعوبة .

ان قلبي يفيض شكراً لانكما اختبرتما هذه الساعة . ويمكنني ان أتخيّل جيداً الافكار التي مرّت في خاطريكما . بعض الناس كما تعلمون يظنون ان الافريقيين لا يعرفون معنى الحب .

ان اسئلتك هي من النوع الصعب . والحق يقال انك موهوب في

وضع الأسئلة . ففي كل مرة تكون اسئلتك أصعب من المرة السابقة ولهذا أحتاج الى مزيد من الوقت للتفكير بها قبل الاجابة عنها .

متى يبدأ الزواج ؟ يقول الكتاب المقدس ان الزواج سرّ والسر لا يُفسّر . كل ما يمكنك ان تفعله هو الغوص في السر لكنك لا تقدر ان تسبر غوره . والبداية ايضاً هي جزء من السرّ

تقول لي : « شعرنا وكأننا واحد وسيّان » فمتى يبدأ الانسان ؟ بالنسبة الى البشر ، يبدأ الانسان عند ولادته ، مع العلم ان الحياة موجودة قبل ذلك . متى تبدأ الحياة ؟ يقول علم الاحياء ان الحياة تبدأ في اللحظة الاولى من الحمل. ومن تلك اللحظة فصاعداً تكون الحياة موجودة وانسان جديد بدأ يتكوّن . مع ذلك لا يمكن رؤية ذلك الانسان لانه يكون في مرحلة انتقالية تحمله امه اثناءها في احشائها. وعليه يمكن القول : ان شخصاً جديداً قادم على الطريق .

هذه صورة عن الخطوبة والزواج . ان حياتكما قد بدأت بالفعل . هل بدأت في تلك اللحظة التي كنتما فيها في الكنيسة ؟ ألم تكن موجودة يا ترى قبل ذلك ؟ هل بدأت عندما التقيتما للمرة الاولى في سيارة الركاب ، او في وقت ما خلال الاسابيع الاولى التي تبادلتما فيها الرسائل الحارة ؟ من يعلم ؟ فالأمر يبقى سراً .

من الآن فصاعداً ، هذا الانسان الجديد ، بل هذا الكائن الحي الجديد الذي يتألف منكما هو في طريقه الى حيّز الوجود .

غير ان هذا الكائن القادم يحتاج الى وقت لانه يجب ان ينمو تدريجياً كما ينمو الجنين في احشاء امه . هذا النمو البطيء يتم خلال فترة الخطوبة . وكل ما تمر به من اختبارات ، جميلة او معقدة ،

يساعد على هذا النمو . وهكذا ينمو الانسان الجديد ويبلغ مرحلة النضوج .

على ان هـــذا النمو يتم سراً ولا يعلم به احـد الا انتما والله — والقلائل الذين بحتما بسركما لهم .

اذاً لقد بدأ زواجكما ولو انه لم يحن وقت ظهوره بعـد . فهو الآن كالجنين بين الحمـــل والولادة . انتما الآن في مرحلة انتقالية وزواجكما في طريقه الى الظهور .

ان يوم عرسكما هو يوم مولد زواجكما . هناك يـبرز الكائن الجديد الى حيّز الوجـود ، ومن ثمّ يقدر كل انسان ان يراه فيتمّ الاحتفال به وعندئذٍ يعرف به الجميع .

يقول الواحد منكما للآخر في زمن الخطوبة : نريـد ان نختبر بعضنا بعضاً لنرى ان كان الواحـد منا للآخر . اما في يوم العرس فتقولان جهاراً امام الجميع : لقـد اجتزنا الامتحان وكانت النتيجة ايجابية .

من الطبيعي ان لا يكون الزواج وقفـاً على وثيقة الزواج كما ان ولادة الطفل لا تتوقف على شهادة الولادة . ومع ذلـك لا يجب ان نقلل من اهمية امور كهذه . فالزواج ليس مسألة خاصة فحسب بل له علاقة بدائرة التسجيل الرسمية . ولا يبلغ الزواج أوْجَهُ او كماله الا بعد ان يراه الجميع ، لأنه والحالة هـذه يصبح ايضاً مأموناً من الناحية القانونية . قال لوثر مرة : « الزواج السرّي ليس زواجاً » . ولهذا يحتفل بالاعراس بين جميع الشعوب في كل مكان وزمان .

صدقني انني بالجهد استطيع الانتظار حـتى اشاهد معكما مولد

زواجكما . واني مستعد بكل سرور ان افعل كل ما في وسعي ، للتعجيل بيوم الولادة . ولهذا كتبت الى القس عاموس لكني لم استلم ردّه بعد .

ت.

او... ٢٠ ايلول

عزيزي القس تروبيش ،

فوجئت برسالتك من نواحٍ عدة . وعلى الأخص لأن الارسالية هي التي علمتنا التأديب الكنسي في افريقيا ولو ان هذا التأديب غير معمول به في الكنائس الأوروبية والاميركية .

لما كان المرسلون انفسهم يمارسون التأديب لم يرتفع أي صوت احتجاج ضده . اما الآن وقد اخذنا نحن الرعاة الافريقيين بالعمل به فها انت تنتقده بشدة . حقيقة الأمر ان ما نعمله نحن هو نفس ما علمتونا اياه .

هل كان ف. يا ترى يأتي اليك ويعترف بخطيته لو ان احداً لم يفشِ أمره ؟ فلو كان ذلك ممكناً لكنت اقول انك قد تكون على حق . لكن ف. تاب عندما فُضح امره ولأجل ذلك كان علينا ان نمتحنه لنعرف صحة توبته واخلاصه . ان حرمانه من عشاء الرب لستة اشهر ما هو الا لامتحانه وليس دليلاً على عدم صفحنا عنه .

وفي هـــذا ايضاً تحذير للباقين في الكنيسة لانهم بعبرة كهذه يستمدون قوة للوقوف في وجـه التجارب . فلو لم أضع ف. تحت التأديب الكنسي لكنت فتحت باب التجربة امام الآخرين ، ومـا اكثرهم! فأنا لن اقوم بهذه المغامرة لاني مسؤول عن طهارة الكنيسة. تقول الآية في كورنثوس الاولى ١١ :٢٧ «من أكل هذا الخبز او شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه» . فالخطية لا تهدد حياة الفرد فحسب بل حياة الجماعة كلها .

من هنا كان على الكنيسة ان تقتص من الخطية امام الجماعة كلها. واذا رجعنا الى الكتاب المقدس نجد ان الله ايضاً يقتص من الخطية كما جرى مع داود اذ نال قصاصه بعد مـــا أقرّ بفعلته مع زوجة اوريا وذلك بموت ابنه. كذلك وقع حنانيا وسفيرة ميتين من جرّاء كذبهما (اعمال ٥ :١-١١) .

انا أعرّف منك بشبابنا الافريقي . انه من السهل جـداً عليهم الاعتراف بشيء ان كان اعترافهم يقيهم العقاب . فطريقتك خطرة جداً . لانه ان كان الحصول على الغفران رخيصاً بهذا المقدار بحيث يكفي ان يأتي المرء اليك معـترفاً وينتهي الأمر فعندئذٍ تصبح اغراءات الخطية أشد عنفاً عوض تركها ومقاومتها .

من ناحية اخرى يقود القصاص الى التوبة . فلو لم نعاقب ف. فلربما لم يتب عن عمله .

لهذا السبب لا أقدر ان أعيده فوراً الى عمله في المدرسة. فجميع المعلمين والطـلاب عرفوا بأمره . ولو لم نصرفه من وظيفته لكان الانضباط المدرسي فقد قيمته .

كانت حوادث الزنى اصلاً نادرة في المجتمع الافريقي لان مرتكبها كان يعاقب بشدة وفي بعض الحالات بالموت. وقد نبّه المرسلون في كرازتهم على ان الزنى هو الخطية الرئيسية ان لم يكن الخطيـــة الوحيدة. وهذا ما جعـله جذاباً في نظر الناس. ومع ذلك فهم يحولون بيننا وبين الاقتصاص من هذه الخطية. فما العمل ؟

يسرّني ان ألبّي طلبك بزيارة عائلة س. ولو انني أعـلم مسبقاً الحجج التي سيدافع بها الأب عن نفسه ، وأرغب في اصطحاب ف. معي ولذلك أرجو ان تحثه على زيارتي.

القس عاموس

ي ... ٢٢ ايلول

عزيزي ف.،

كانت رسالتك سبب تعزية كبرى لي. واني مسرورة لانك لست غاضباً عليّ. كان في ودي ان أكتب اليك قبل الآن الا ان فروضي المدرسية الكثيرة حالت دون ذلك.

اريد ان أزفّ اليك بعض الاخبار السارة. ان صديقتي ب. لها عم يشتغل في وزارة التربية. وقالت لي انه مستعد ان يدبر لك عملاً في حقل التعليم في احدى المدارس الحكومية في ي. فالرجاء ان تقبل هـذا العرض لانك ستتمكن من تحصيل المال وهكذا نرى بعضنا بعضاً في كل يوم.

لكَ ... س.

إ ... ٢٤ ايلول

راعيّ العزيز ،

شكراً على رسالتك المؤرخة في ١٩ ايلول . لقد وجدت نفسي متأملاً بها ملياً ولوقت طويل . فما اجمل المقارنة بين زمن الخطوبة وفترة الحمل. انما في مسألة الحمل يكون من السهل تعيين وقت تقريبي للولادة. اما انا فلا اقدر ان اعرف متى يكون في امكاننا ان نتزوج، وهذا ما يجعل الانتظار صعباً .

وردتني رسالتك في بريد واحد مع رسالة س. التي تجدها طيّه. فما رأيك بها ؟ هل يمكنني كمؤمن ان اعلّم في مدرسة حكومية ؟ وهل تعتقد انه من المستحسن ان يكون كلانا في نفس المدينة ؟ اني اتوق الى ذلك ولو انني اعلم مسبقاً اني سأخسر مكاتبة س. لي .

ف.

ب... ٢٧ ايلول

عزيزي ف. ،

طبعاً يمكنك كمسيحي مؤمن ان تشتغل في مدرسة حكومية . فلو ان الكنيسة فتحت لك باب العمل لكان من المناسب ان تلجه. لكن القس عاموس كتب اليّ قائلاً ان الأمر مستحيل في الظروف الحاضرة . وسأحاول ان اعرف السبب لأنه هو ايضاً لا يتخذ قراراً الا بعد التفكير والصلاة .

هذا يعني ان الطريق امامـــك مفتوحة لأن الله يقودنا خطوة فخطوة تماماً كما وعدنا بالخبز كل يوم بيومه وليش بمعيشة العمر كله .

اليك هذه النصيحة : اقبل الوظيفة في ي. فقد تكون شهادتك اكثر تأثيراً وسط غير المؤمنين . كن يقظاً ولتكن عيناك مفتوحتين.

ثم من المستحسن ، لخير زواجكما المقبل ، ان يرى الواحد منكما الآخر في اكثر الأحيان . كتبت لك قبلاً ان زمن الخطوبة هو زمن الاستعداد وان حياتكما معاً قـد بدأت ولو انها في الوقت الحاضر قيد الاختبار والامتحان . هذا لا يعني انك يجب ان تمتحن س. او هي ايّاك ، بل ان تجتهدا معاً لتعرفا امام الله ان كان في امكانكما ان تصيرا روحاً واحداً .

ولهـــذه الغاية كثيراً ما تكون الرسائل ذات نفع كبير لأنـك تستطيع ان تكتب اموراً كثيرة تجد من الصعب البوح بها مواجهة. انما المكاتبة لا تكفي ليعرف احـدكما الآخر معرفة صحيحة . فمن الضروري ان تجتمعا في مناسبات مختلفة سواء كان مزاجكما حسناً أو سيئاً . وهناك تتحدثان معاً بغية الاستزادة في معرفة احدكما للآخر . والصمت هو جزء من الحديث كما تعرف بالاختبار . لكنه جزء ليس إلا . وما عليك الآن الا ان تجد كلاماً بل ان تعرف ان كان في وسعكما ان تتخاطبا وتصغيا الى بعضكما البعض . فالزواج دون كلام كالنبات دون عصارة ، أي ان مصيره الجفاف .

ليس من الضروري ان تكونا دائماً على اتفاق في الرأي. انما يجب ان يحب احدكما الآخر لدرجة ان كلا منكما يقيم وزناً لرأي الآخر . لا بد ان تنشأ صعوبة من رؤية احدكما الآخر كل يوم . وهـذه

الصعوبة هي في معرفة حدود كل منكما والصمود في وجه التجربة . فحين تكون وإياها تذكر ان امك كانت فتاة فيما مضى .

أود ان اذكرك بكل ما قلته لك في بداية السنة عن الرجولية وضبط النفس الذي هو ضروري وحيوي للسعادة الزوجية . لكنه لن يكون ممكناً ضمن الزواج الا اذا مورس قبل الزواج .

ثم شيء آخر : كتب إليّ القس عاموس يقول انه سيقوم بزيارة والد س. وانه يرغب في اصطحابك معه . فالرجاء ان تتوقف عند بيته في طريقك الى ي. وتتفق معه على موعد لاجل هـذه الغاية . وتأكد انك لن تغيب عن فكري طيلة ذلك اليوم .

ت.

ب .. ٢٨ ايلول

عزيزي القس عاموس ،

اصارحك يا أخي العزيز عاموس ان رسالتك كانت فاترة وهذا برهان لي على ان رسالتي اليك قد آلمتك جـداً واشعر انك لم تجب عليها بسهولة .

على أية حـال اشكرك لانك كتبت اليّ ولا سيما لانك كتبت بصراحة واخلاص .

نعم ، نحن المرسلين عملنا اخطاء كثيرة ويجب ان نندم على امور

كثيرة صدرت منا وعنا . لقد ذكرت نفس الشيء للشاب ف. الذي لا نستطيع ان نجرد الارسالية من اللوم على ما حصل له .

ان الشيء العجيب هو ان الله ، بالرغم من اخطائنا ، قد أسس لنفسه كنيسة . له وحده كل المجد .

لا أقصد ان ادافع عن نفسي كما لو ان الأمر لمصلحتي ؛ انما هو لمصلحة ف والكثيرين الذين هم على شاكلته . فلأجل هؤلاء يجب ان نطلب بل نعرف ما هي مشيئة الله . صدقني ان هذا هو السبب في طرحي عليك بعض الأسئلة .

هل ثمة طريقة بشرية نستطيع بها ان نحكم على صحة التوبة او عدمها ؟ هل هناك دليل على التوبة الخلوص فيما اذا راعى المرء خطية ما لزمن معيّن ؟ أليس الله وحده هو الذي يرى في الخفاء ؟

أنت اقتبست الآية الواردة في كورنثوس الاولى ١١ . انما هذه الآية تقول : « ليمتحن الانسان نفسه » (ع ٢٨) . أليس هذا نقيض ما نمارسه في كنائسنا الافريقية حيث الراعي او الشيوخ هم الذين يمتحنون الاعضاء ؟ حتى وان كان هذا موصى به فلماذا لا يُمتحن الرعاة والمرسلون ؟

من هو صاحب « الاستحقاق » على الاطلاق ؟ أهو انا أم أنت ؟ فلو سمح للمستحقين وحدهم بالاشتراك في المائدة ، فمن كان يتجاسر على الاقتراب اليها ؟ المستحقون فعلاً هم فقط الذين يشعرون بعدم استحقاقهم .

هذه هي الحقيقة التي اكتشفها ف. وهو الآن يعرفها بعمق ووضوح اكثر من أي وقت سابق . لاجل هذا هو محتاج الى الشركة مع

يسوع ويتطلع اليها . فهل نستطيع كبشر ان نحول بينه وبين ربه ؟ هل نجرؤ ان نمنع عنه ما يريد المسيح ان يعطيه اياه ؟

نعم انا اعترف ان الله يستخدم العقاب . وفي الأمثلة التي اوردتها ان الله هو الذي يعاقب وليس النـاس او الكنيسة . فناثان النبي لم يقتص من داود مـع العلم ان داود عاش قبـل موت المسيح على الصليب . اما نحن الذين نعيش بعـد المسيح فلنا الوعـد الوارد في اشعياء ٥٣ : ٥ «مجروح لاجل معاصينا . مسحوق لاجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا » . فالمسيح حمل قصاصنا الذي استحقيناه وتألم عنا . وعليه ان اعترفنا بخطايانا ووثقنا به فلنا العتق والحرية .

أوليست هـذه هي الرسالة التي ائتمن الله كنيسته عليها ، اعني عطية النعمة المجانية دون مقابل ؟ والنعمة التي يمنحنا اياها الله ليست بالطبع رخيصة بل غالية كلفت المسيح حياته . انما ما لا نستطيع فهمه او ادراكه هو ان هذه النعمة تعطى لنا مجاناً .

قد تقول لي ان في هـذا خطراً على اعتبار ان النعمة يمكن ان يساء استعمالها ؛ وانت على حق في هـذا . لكن لا يجب ان يغيب عن بالك ان الله هو الذي قدم هذا العرض الخطير . فان كان هو قد خاطر بذلك أفيحق لنا ان نبني اسوارنا الوقائية البشرية عن طريق التأديب الكنسي ؟

عزيزي الاخ عاموس ! ها قد وُضعت امام اعيننا نحن القساوسة مسألة خطيرة . أليس وراء التأديب الكنسي شيء من قلة الايمان ؟ ألسنا نؤمن بأن الله نفسه قادر ان يحفظ كنيسته طاهرة نقية ؟ هل تعتقد انه يجب ان نقوم بعمل شيء من تلقـاء انفسنا ؟ وهل نحن

المسؤولون عن طهارة الكنيسة ؟ أليس واجبنا الاول والأهم هو ان ننادي برسالة الانجيل وبعطية النعمة دون قيود بشرية ؟ ان كنا نطيع الله في ما يتوجب علينا فلا بد ان يقوم هو بالقسط الذي عليه. وما مثل حنانيا وسفيرة الذي اوردته سوى دليل على هذه الحقيقة. فهذان الزوجان لم يعترفا بالخطية بل كذبا فماتا على التوّ — وهنا صرامة الله . فالذي قام بهذا ليس بطرس بل الله الذي تدخّل وما زال حتى اليوم . هل نؤمن بهذا ؟ وهل نثق في قدرة الله على عمل ما يجب عمله ؟

واليك الآن هذا السؤال الاخير : هل من السهولة بمكان ان يعترف المرء بخطاياه ؟ هذا ما يقوله الذين لم يعترفوا قط بخطاياهم . الاعتراف بالنسبة اليّ هو اصعب خطوة اتخذتها في حياتي . وكذلك ف. الذي دخل في عراك مع نفسه . وانا اشهد بذلك ، لأن المرشد يحسّ بما يجري .

اني أفهم ما قلته عن الانضباط المدرسي . فالمدرسة تختلف عن الكنيسة ولا شك ، ولا اعتقد انه من صالح ف. ان يعود الى نفس المدرسة . على انه قد يكون هناك حلّ آخر .

لقد سبقت وكتبت الى ف. طالباً اليه ان يمرّ بك وانا اشكرك على استعدادك للذهاب معه لزيارة والد س. ليت الله يعطيك حكمة وافرة لهذه الزيارة . فلن تغيب عن بالي وخاصة في ذلك اليوم .

فالترت.

ي .. ١٧ ت١

راعيّ العزيز ،

مضى على وجودي في ي. اسبوعان بل ثلاثة اسابيع تقريباً ، فما أسرع الوقت !

وفي طريقي الى هنا قمت بزيارة القس عاموس الذي استقبلني ببشاعة ولطف مما بعث الدهشة في نفسي .

سنذهب سوية يوم غد الى والد س. وسيرافقنا أخي جاك كممثل عن العائلة . وهكذا ستكون الزيارة زيارة « رسمية » .

ولكن قبل ذهابي الى هناك أود ان اسطّر كلمات قليلة .

ان س. قد نجحت فعلاً في ايجاد عمل لي واني أشعر بامتنان نحوها ولا سيما عند دخولي الى المدرسة في الساعة الثامنة من صباح كل يوم . ولكني اشعر بمزيد من الامتنان حين أراها في الخامسة من مساء كل يوم .

ان س. عبقرية ودائماً تفكر باشياء جديدة فقد استأجرَتْ دراجتين نذهب عليهما سوية بعد المدرسة حتى حلول الظلام . ثم بعد ذلك تنصرف هي الى بيت خالها .

نعم اننا الآن ، على حد قولك، نكتشف بعضنا بعضاً . وكل يوم يأتينا باكتشافات جديدة. والحقيقة هي ان الفتاة اقليم مجهول . والآن أستطيع ان أرى لأول مرة كيف كنت أعمى حين نظرت الى الفتاة نظرتي الى فرشاة اسنان أي كأداة للاستعمال . وفوق ذلك كنت أنوي ان « استعمل » واحدة لكي اعرف ماهية المرأة — يا للغباوة !

اما الآن فأنا اريد ان أتعرف بفتاة واحدة هي س. وكأن بقية

الفتيات غير موجودات . وبها أستطيع ان اعرف بنات جنسها .

اني اجعلها تركب دراجتها وتسير قدامي لكي تكون على مرأى مني . انها ترفع شعرها الى أعلى فيبرز عنقها الذي يأخذ يتمايل مع جسمها ولا سيما حين تضغط بشدة على دواستي الدراجة وهي تسير صعوداً .

بعد ذلك ننزل عن دراجتينا ونجلس على العشب الاخضر . وهناك نتطرق الى الحديث عن معظم الموضوعات وتبدي س. رأيها الخاص في كل شيء . لم يخطر في بالي ان الفتاة تقدر ان تفكّر بل بالحري يجب ان تبقي رايها لنفسها

ما همّني ما كانت تقوله س. بمقدار ما همّني قولها شيئاً والكيفية التي كانت تتكلم بها . كنت اصغي الى نبرة صوتها واراقب حركات يديها وعينيها . وبعدها كنت اشعر بميل الى لمسها . تذكر انك قلت لي مرة : «احفظ معانقاتك لخطيبتك » وبما ان س. هي الآن خطيبتي فالى أي حد استطيع التمادي معها ؟ لقد نصحتني بأن لا اتخطى حدودي ، فما هي هذه الحدود ؟ اسارع الى مصارحتك بأننا نتبادل القبل احياناً ، ولكننا لا نذهب الى أبعد من ذلك . فهل تسمح مسيحيتنا بذلك ؟ وماذا يحدث لو ان شيوخ الكنيسة رأونا ؟

اريد ن أبوح لك بسرّ آخر : عندما اقبّلها تثور فيّ الرغبة في امتلاكها ولا أقدر ان أقمع رغبتي هذه . ولو لم تذكرني بأن امي ايضاً كانت فتاة فيما مضى ، ولو لم تكن س . كتبت لي مرة قائلة : « ازداد حبي لك لانك في الليلة التي صرفتها عندنا لم تحاول ان تراودني عن نفسي » ، لما كنت أعلم ما كان يمكن حدوثه .

لما كرست نفسي للمسيح في الليلة التي قضيتها عندكم ظننت اني تحررت نهائياً. قلت لي آنذاك: «ليس يسوع نكرة بل هو قوة. وبقوته تقدر ان تغلب».

هكذا كان كل شيء في بداية الأمر. اما الآن فأنا أرى ان ذلك غير صحيح. فالرغبة تزداد عنفاً، وايماني عاجز عن اعانتي ويسوع لا يسمع صلواتي بل هي تذهب ادراج الرياح. بل اشعر ان الشهوة أقوى من يسوع. فلماذا لا يساعدني ويعمل شيئاً لاجلي كي انتهي مرة واحدة من هذه الشهوة وهذا التلهف لامتلاك فتاتي؟

ان اختبار الحب يدمّر ايماني. أم هل على المؤمن ان يهرب من الحب؟ اني خائف، خائف من نفسي ومن الوحش الراقد فيّ. أتفهم ما اقول؟ هذه الرسالة ان هي الا صرخة تطلب النجدة.

اني ذاهب غداً في رحلة وعند رجوعي بعد يومين او ثلاثة يجب ان استلم رسالة منك والا قد تحدث كارثة.

ف.

ب ... ١٨ ت١

عزيزي ف.،

الساعة تقارب منتصف الليل ومع ذلك سأجيب على رسالتك فوراً تقول ان يسوع لم يسمع صلاتك. فهل لك ان تخبرني عما صليت

لاجله ؟ هل صليت لكي ينزع منك رجولتك ؟ ماذا تريد ؟ أتريد ان تكون بعيداً عن الجنس وان تنزع شهوتك الجنسية ؟ ان هـذا لأمر بعيد المنال ، لان ما يفعله المرء فانما يفعله إما كرجل وإمـا كامرأة . وشعورك الجنسي شيء يرافقك في اليقظة وفي المنـام ولا يفارقك عنـد العمل واللعب . وحتى في اقدس مشاعرك وفي أطهر صلواتك تجد الجنس معك .

ان كنت تؤمن بالمسيح فانك تعلم ان جسدك هيكل للروح القدس . فان صليت لاجل تشويه الهيكل فالمسيح لا يستجيب صلاتك لانه يريدك قادراً على العيش مع رجولتك .

هل على المؤمن ان يهرب من الحب؟ انا اعرف ان مؤمنين كثيرين يفرزون انفسهم بل يديرون ظهورهم الى الحب . انهم يجتنبون الجنس الآخر ويعتقدون ان بعملهم هـذا يصيرون قديسين وناضجين . لكنهم يخـدعون انفسهم . فالمؤمن لا يهرب . حتى المسيح نفسه لم يجتنب الموضوع هـذا . انه جاء الى العالم وكان شاباً . وفي بعض الاحيان لامسته ايدي النساء وقبلاتهن ودموعهن. وهو بدوره اقترب من سرير امرأة مريضة وامسك بيد فتاة صغـيرة . ثم هناك امرأة لمست هدب ثوبه ، واثنتان احبّتاه وهما مريم ومرثا . وتحدث يسوع مع نساء على انفراد ، مرة عند البئر واخرى لما كتب على الارض . والمرأة الخاطئة التي قبّلت رجليه كانت معروفة بسيرتها الرديئة مما جعل الحاضرين يصابون بصدمة . لكن يسوع دافع عنها وكان يتنقل بين الناس بصورة طبيعية ملؤها الثقة والحرية .

يسوع هو الشخص الغالب لانه عاش حياة انسان بشري . والغلبة

معناها السير في طريق السيادة . وهو يقودك نحو هذا الهدف وليس نحو الهرب .

فأنت لا تستطيع الهروب من رجولتك ، لانها لك بل هي جزء منك . والآن دعني أقصّ عليك القصة التالية :

ذات مرة شوهد نمر في غابة فأمسك بحيلة ووضع في قفص . وكان على حارسه ان يطعمه ويقوم على حراسته . غير ان الحارس اراد ان يصادق النمر . فكان كلما جاء الى القفص يحادثه ويلاطفه . اما النمر فكان دوماً ينظر اليه بشراسة من خلال عينيه الخضراوين ، ويتابع تحركات الحارس تحفزاً لمهاجمته . فأحسّ الحارس بالخطر وطلب الى الله ان يروّضه . وفي ذات ليلة ، بعد ان كان الحارس قد أوى الى فراشه ، اختفت فتاة كانت في جوار القفص بل كانت قريبة جداً من قضبانه الحديدية . فقد حدث ان النمر مدّ مخالبه وشد بالفتاة فكانت صدمة تبعتها صرخة . ولما وصل الحارس الى مكان الحادث رأى اشلاء ممزقة ودماء ، فعلم ان الله لم يروّض النمر . فازداد خوفه وما كان منه الا ان جرّ النمر الى نقرة مظلمة بحيث لا يقدر احد ان يقترب منه .

فكان النمر يزأر ليلاً ونهاراً وكان صوته يزعج الحارس ويقضّ مضجعه ويذكّره بخطاياه . وكان دائماً يرى في احلامه جسد الفتاة الممزق . فصرخ من شدة يأسه الى الله علّه يميت النمر فاستجاب الله طلبته وانما بطريقة تختلف عما طلب . قال له الله : ادخل النمر الى بيتك ، الى الغرف التي تسكنها بل الى اجمل غرفة لك .

لم يعد الحارس يخاف الموت لأنه آثر ان يموت على ان يسمع

صوت النمر . ففتح القفص وصلى قائلاً : « لتكن ارادتك » .

خرج النمر وبقي هادئاً . وتبادل الاثنان النظرة مدة طويلة . وحالما لاحظ النمر ان الحارس لم يعد يخافه وانه يتنفس براحة اضطجع عند قدميه .

هكذا كانت البداية . لكن النمر كان يعود في الليل الى الزئير والحارس يعود الى الخوف . فرأى الحارس ان يأتي بالنمر الى بيته لمواجهته والتحديق في عينيه . وكان هذا كل يوم صباحاً على عدة ايام . فهو لم يقدر ان يسيطر على النمر « مرة واحدة والى الابد » بل كان عليه ان يغلبه مرة تلو الأخرى . وهكذا كان يمر على محك الشجاعة في كل يوم .

بعد بضع سنوات تصادق الاثنان حتى ان الحارس كان يضع يده بين فكّي النمر لكنه لم يجرؤ اطلاقاً ان ينزع عينيه عن النمر ، فكانا كلما تطلعا الى بعضهما البعض يعرف احدهما الآخر وان لا غنى للواحد منهما عن الآخر .

يا ف ، يجب ان تتعلم كيف تعيش مع النمر بشجاعة ووجهاً لوجه . وبهذه الطريقة يحررك المسيح . فان كنت تؤمن به فعندئذ تتجرأ ان على ملاطفة احدكما الآخر . ثمة مؤمنون يظنون ان الله يرضى عنهم رضىً خاصاً ان هم تنكروا لهذه الأمور . انما هذا ضرب من ضروب السخافة ، لأن المؤمن الحقيقي وحده هو الذي يقدر ان يحب .

الى اي حدٍ يمكنني التمادي ؟ على قدر امكانك . بل ضع يدك في فم النمر ان قدرت . ولكن اياك ان تقيّم نفسك اكثر مما انت او ان تتخطى أيةً من المراحل . اياك ان تحوّل نظرك عن النمر . فهو

يقظ ويزأر ويتتبع كل حركة ويعرف مواطن الضعف .

يا عزيزي ف.، اني أقودك في طريق خطر ولكني لا اريدك جباناً . اكرر : المؤمن لا يهرب .

سأسلّم هذه الرسالة غداً صباحاً – لا بل هذا الصباح لأن منتصف الليل قد فات – الى أحد اصدقائي الذاهبين الى ي. لكي تصلك بسرعة .

ت.

ب... ٢٣ ت١

عزيزي الأخ ڤالتر ،

أود ان اطلعك على نتائج زيارتنا الى والد س. ولكني اريد اولاً ان اشكرك على رسالتك المؤرخة في ١٩ ايلول . انه لما يثلج الصدر ان اسمع من فم رجل أبيض بل من فم مرسل ان البيض غير معصومين عن الخطأ .

وقد تعزيت جداً بعبارتك التي تقول فيها ان الله قادر ان يبني كنيسته غصباً عنا حتى ولو فشلنا نحن .

في ما يتعلق بالتأديب الكنسي، فالسؤال الذي يراودني دائماً هو: هل ثمة غفران دون عقاب؟ فالوثنيون يؤمنون بأن الله يقتص عندما تكسر وصاياه .

ثم جاءنا المرسلون وقالوا : ان الله لا يعاقب بل بالحري يصفح ويغفر . وكانت النتيجة انه حيثما ازدهرت المسيحية برز معها ما يسمّى عدم الانضباط . الوثنيون يخافون الله اما المسيحيون فلا ، لانهم يقولون ان الله لا يعاقب بل يصفح وهذا يعني انني ان اخطأت فذلك لا يشكل خطراً .

ماذا يمكننا ان نفعل اذاً ؟ انا لا أتجاسر ان اعمل برأيك . ربما يعوزني الايمان . وقد تكونون أنتم الاوروبيين اقوى ايماناً منا . هل كنائسكم يا ترى اكثر طاعة من كنائسنا ؟ أم انكم تغمضون أعينكم لكي لا تروا الخطية ؟

بالنسبة لنا نحن الافريقيين، عندما تُرتكب الخطية فهي لا تجرح الفرد فحسب بل الجماعة كلها . ومن هذه الناحية اعتقد اننا أقرب الى الكتاب المقدس . لكنك لم تشر الى هذه النقطة .

هـــذه هي النقطة الحيوية في مشكلة الزواج التي لها علاقة بالفتاة س. فبرأي ابيها ليس زواج ابنته من شأن س. وف. فقط بل من شأن العائلة كلها، اذ ليس هو الوحيد في الساحة بل هناك اخوته وأخوال س. وجدّها .

ليس لوالد س. أي شيء ضـد ف. بالعكس انه يظن ان ف. شاب رزين ونزيه . انما وضع هذا الرجل هو كما يلي :

لم تنجب له زوجته الاولى اولاداً على الاطـلاق في الوقت الذي كان يحب ان يكون له ابن . وسبب ذلك يعود الى اقتناعه بانه مديون لأبيه بتسليم مشعل الحياة الذي أخذه منه والا فلا يكون لحياته معنى.

وهكـذا تزوج بامرأة ثانية فأنجبت له س. وبعدها بوقت قصير انجبت له ثلاثة بنين .

نعم ، هو ليس من افقر الناس في قريته بل هو رجل مجتهد جداً ويملك مزرعة للكاكاو . وبالرغم من ذلك لم يتمكن حتى الآن من تسديد ديون زواجه . وعليه فهو ينتظر ممن يطلب يد ابنته ان يسد هذه النفقات عنه .

وبالاضافة فانه يريـد ان يرسل اولاده الثلاثة الى المدرسة . والاقساط المدرسية في ارتفـاع دائم سنة بعد اخرى . وسيأتي يوم يتزوج فيه هؤلاء الصبيان الثلاثة وهو لا يستطيع ان يقوم بـدفع النفقات الا من خلال ما يرده من الصهر العتيد .

انه لا يرغب في الصيرورة غنياً . ثم ليس هو بالكسول بل شاعر بمسؤوليته . ولا يفوتني القول ان اخوال س. يراقبونه باستمرار .

تحدثنا سويّة وكان الحديث هادئاً . فهو يشعر ان المرأة تكـون اكثر طاعة لزوجها ان كان يضحي ببعض المال في سبيلها . والا فانها تجد من السهل الهروب منه كلما حصلت بينهما مشاجرة . فتقول له : « انا لست لكَ لاملك لم تتكلف شيئاً في سبيلي » . ويقول والد س. ان الزوج يكون اكثر امانة لزوجته ان هو ضحى بشيء لاجلها .

ان هذه العادة الافريقية بالنسبة اليه هي عادة شريفة ومحمودة ، لأن الصهر ، والحالة هذه ، يعبّر لوالد زوجته عن امتنانه ويبرهن له انه جدير بالعناية بابنته .

وقد يكون هناك سبب آخر في طلبه المال . اعتقد انه راغب في اتخاذ زوجة ثالثة . لم يصرّح لي بهذا ولكني اشتممت ذلك بنفسي .

فان ولادة الابناء الثلاثة بشكل متتابع أدّت الى انهيار صحة والدة س. وتعـدد الزوجات يسهل على الزوج تجنب هـذه المشكلة. فالكنيسة تقول ان تعدد الزيجات خطية لكنها لا تحدد الزمن الذي يجب ان يفصل بين الولد والآخر.

نتساءل احياناً : كيف يحل المرسلون هـذه المشكلة ؟ لكنهم يبقون صامتين حول هذا الموضوع.

والآن في استطاعتك ان تفهم الجانب الآخر من القضية. فماذا عسايَ اقول ؟ انا شخصياً لا اعـلم كيف سأتمكن من دفع الرسوم المدرسية عن اولادي ان كنت لا اطالب طالب يد ابنتي ببعض المال.

ان والد س. لا يفهـم معنى الحب. فكيف استطيع ان اشرح له ذلـك ؟

لا شك انك ستستاء مني وتعتقد انه كان في امكاني كأفريقي ان افعل اكـثر مما فعلت. وقد يكون ذلـك صحيحاً على اعتبار ان والد س. اخبرني بما لا يسعه ان يخبرك به. انما لا يغب عن بالك ان للأمر سيئاته ايضاً. فان والد س. وانا من نفس القبيلة. وهذا يعني ان ثمة قرابة بعيدة بيننا. وهذه القرابة تقف عائقاً في طريقي لأن المسألة في هذه الحالة تخصّني انا ايضاً. ولهذا قد يكون في مقدورك كأوروبي ان تعمل اكـثر مما عملت انا. فأنت حيادي لأنك من خارج. فهل لك ان تجرّب ؟

سررت جداً برؤية ف.، انه كان متواضعاً لا يحب الظهور. الا انه يجب ان ينتظر حتى يتوفر لديه المـال الكافي. وفي رأيي ليس هناك حل آخر.

القس عاموس

عزيزتي س.،

لا بد ان يكون ف. قد اخبرك بنتائج الزيارة الى والدك التي وصلتني رسالة مفصلة بشأنها من القس عاموس.

أرجوكِ يا س. ألّا تخوري. فان الله معنا حتى في أحلك الظروف. وهنا يظهر الايمان الحقيقي. فعندما نفقد كل شيء – كل رجاء بشري وكل أمل في ايجاد حل – يبقى امامنا شيء واحد فقط وهو ان نطرح أنفسنا بين ذراعي الرب: ففي لحظات كهذه يكون الرب اقرب شيء الينا. «لا تخافي. آمني فقط». اننا لا نكون كلياً في يديّ الله الا اذا انفردنا به.

«آمني فقط». هذا ما يجب ان تتعلميه وف. في هذا الوقت. فما من شيء افضل يقدر ان يعدّكما لزواجكما المقبل. ولهذا يزجّ بكما الله في هذه الظلمة الحالكة ويبعد عنكما كل سند او دعامة تستندان اليها. انه يريد ان يدربكما حتى تضعا ثقتكما فيه وحده.

كيف يمكن ان تتعلما هذا الدرس؟ اولاً، إسمحا لله ان يكلمكما واصغيا الى ما يقول. حين تكونان معاً افتحا كتابيكما المقدسَين واقرأا سوية أحد المقاطع ثم تناقشا في ما يقوله لكما. أتيحا لله فرصة ليشجعكما ويعلمكما ويرشدكما.

ثم ليضم كل منكما يديه بالصلاة واسكبا ما عندكما من مشكلات امام الله الذي يعلم الطريق ولا بد ان يأخذ بيد كل منكما ويقودكما نحو الافضل. فهو الذي جمعكما معاً وهو الذي يحول دون فصل الناس ما بينكما. آمنا بهذا من كل قلبيكما.

لا يرتبك أحدكما في الصلاة امام الآخر بل تغلبا على هذا الشعور. فهذا هو الوقت المناسب لكما لتتعلما هذا الدرس. وستريان ان كان في مقدوركما ان تتحدثا عن امور شتى ومن جملتها الايمان. فالايمان المشترك هو الاساس المؤسس للزواج. فان بنيتما بيتكما على هذا الصخر فان الاعاصير لن تنال منه.

تحدثت طويلاً يوم أمس مع زوجتي عما يمكن عمله لكما. وأول شيء نقترحه عليكما هو ان توجّها رسالة شكر الى القس عاموس. انه بالحقيقة راعٍ صالح. ومما يبعث على التأثر ان يقوم هذا الرجل الشيخ بهذه الرحلة الطويلة والشاقة. نحن نحترمه جداً.

والآن نطلب اليكِ ان تصنعي معنا هذا المعروف يا س. ومع ان الرسالة هذه هي لكليكما لكني اوجّه الكلمات التالية اليكِ وحدك:

من رسالتك الى ف. في ١٩ تموز بدا واضحاً ان الله اعطاكِ موهبة لكتابة الرسائل الجميلة. والآن نسألكِ: هل في الامكان ان تخطّي رسالة الى والدك؟ نحن نعلم ان هذا أمر غير اعتيادي عند الفتاة الافريقية، لكنه قد يترك اثراً خاصاً في نفس والدك.

من رسالة القس عاموس اتضح لنا شيئان فيهما بعض الأمل. من ناحية هو يقول ان والدك «ليس له شيء ضد ف.» ثم يضيف «انه لا يفهم معنى الحب».

يا عزيزتي س.، حاولي ان تشرحي لأبيكِ ماهيّة حبك لفتاكِ لعله يشاطرك شعورك. نحن غالباً ما نعيّر الآباء لانهم لا يحادثون بناتهم. وقد تكون الحقيقة هي العكس أي ان البنات لا يخاطبن آباءهن ولا

يطلعنهم على مشاعرهن وآلامهن وآمالهن .

اكتبي رسالتك بلغتك الاصلية . قولي له انكِ تحبينه وتفهمينه ولا ترغبين في التخلي عنه . قدّمي له بعض المقترحات العملية . طبعاً يجب ان يكون ف. موافقاً على مقترحاتك . وبهذه الطريقة قد تستطيعان ان تقوما بمحاولة من نوع آخر وهي ان تعرفا ان كان في مقدوركما ان تضعا مخططاً لدخلكما أم لا فلا يكفي في زمن الخطوبة ان تكتشفا امكانية فهم احدكما للآخر او ملاطفة الواحد للآخر او ان تؤمنا وتصليا معاً . بل يجب ايضاً ان تعرفا ان كان لكما موقف موحد ازاء الامور المالية لكي تتمكنا من تقرير ماهية الاشياء التي يجب ان تنفقا في سبيلها . ان على الزوجة ان تعرف مقدار دخل زوجها وان تكون على اتفاق معه في الكيفية التي يجب ان ينفق المال فيها . ان موقفكما ازاء المال لهو أهم بكثير من الكمية التي تكون في حوزتكما .

ثم هناك شيء آخر يا س. أرجو ان يبقى في سرّك . في بداية السنة ، وقبل ان يلتقي ف. بكِ ، كتبتُ الى ف قائلاً : « أنت مسؤول امام الله عن الفتاة » . والآن اقول لك الشيء ذاته فأنت كفتاة يجب ان تقرري المدى الذي يذهب اليه ف ما من فتى يقدر ان يتمادى اكثر مما تسمح له الفتاة . اياكِ والشفقة الكاذبة . كوني ملكة . وما دمتِ تحبين شاباً فحاولي ان تجعلي منه شاباً ناضجاً .

ت.

عزيزيّ الراعي وقرينته ،

اشكركما جداً على رسالتكما التي قرأتها انا وف. وتأثرنا بها جداً لعلمنا انكما تضمان نفسيكما مكاننا وتحسّان تماماً كما نحسّ وانكما تريدان ان تشجعانا .

لم نكن نعلم ان الله مهتم بنا بهـــذا المقدار وان للايمان علاقة بالخطوبة فلولا الايمان لـكان علينا ان نستسلم للفشل . اما كوننا نجهل ما يخبئه لنا المستقبل فهـذا يجعلنا أقربٍ فأقرب الى بعضنا بعضاً .

ها قد جرّبنا ان نقرأ الكتاب المقدس سوية . ولأول وهلة كان الأمر غريباً علينا ولكن بعد ذلك وجدناه مستحبّاً . ومما يساعدنا ليس الملاطفة فحسب بل القيام بعمل ما سوية . الا اننا لم نصلّ حتى الآن . فأنا أخجل ان اصلي امام ف. بصوت عالٍ .

حاولت ان اكتب الى والدي لكن المحاولة باءت بالفشل . ولا أقدر ان اعبر لك عن مقدار صعوبة عملي هذا . فأنت كأوروبي لا أظن انك تدرك أمراً كهـذا اذ انني أشعر وكأن سوراً يقف بيني وبين والدي .

ان آباءنا لا يحبون ان يستمعوا الى بناتهم لانهـــم يخشون فقدان هيبتهم ويظنون اننا لا نوقرهم . وهذا بالطبع يزعجهم جداً .

انا أعلم ان قصدك من وراء نصيحتك لي انمـا هو قصد طيب . وبما انني كنت قد شرعت في كتابة رسالة فسأحاول ان اكملها .

لكل إعلم ان كل سطر هو معركة بحد ذاته . ومن الصعب ان اعبر لك بالكلام عما أشعر به .

وحتى لو كتبت الرسالة بكاملها فلن اجرؤ على ارسالهـــا الى والدي .

س.

ي... ٧ ت٢

عزيزي القس ڤلتر ،

يسرني ان تكون رسالتك قد وصلتني عنـد عودتي من زيارة والد س. غـير المثمرة . كنت ، والحق يقال ، في حالة من الفشل واليأس ، ولكن حين شاهدت المظروف المكتوب عليه بخط يدك شعرت بالشجاعة مجـدداً ، بل أحسست وكأنك مددت اليّ يدك الصالحة والقوية فداخلني العزاء حتى قبل ان أفضّ الرسالة .

وخالجني هـذا الفكر : ماذا يحدث يا ترى لمن ليس لهم انسان يوجهون اليه رسالة او يتسلمون منه رسالة ؟

ان قصة النمر لا بأس بها . فانهـا تبيّن لي ان لا الذين يحبسون النمر في قفص ولا الذين يطلقونه حراً هم على صواب. فالذين يسيرون وراء العالم ليسوا أكثر جبناً من المتطرفين في تقواهم . لذلك لا يجب ان ننسحب من المعركة . فان سقطنا فلا يكون الخطأ خطأ النمر .

بل ان صداقة النمر او عداوته لي متوقفة عليّ لقد فهمت كل ذلك.

انما ما زال هناك سؤال دون جواب . ما معنى « ضع يدك بين فكّي النمر » ؟ هل هذا يعني ان في استطاعتي ان أذهب الى نهاية الشوط ان كنت سيد نفسي هادئاً ولا « أتخطى أيةً من المراحل » على حد قولك ؟ هل هذا يعني ان في امكاننا ان نتحد في الجسد ؟

كنت قد وجهت اليك نفس السؤال من قبل عن فتاة لم اكترث لها ولا رغبت في الزواج بها ، بل لم أكن أعرف عنها شيئاً يذكر . أتذكر ذلك ؟ قلت لك آنذاك اني اريد ان أعدّ نفسي للزواج . وكان جوابك : بالعكس، فأنت تتعلم عادات تؤثر على مجرى حياتك الزوجية فيما بعد . ثم قلت لك انه من اللازم ان أعرف فتاة بين الحين والآخر لكي لا أُصاب بمرض . وكان جوابك ايضاً : بالعكس، فأنت تغامر بصحتك ان فعلت . وقلتُ اني اريد ان ابرهن عن رجولتي . وكان جوابك للمرة الثالثة : بالعكس ، أنت جبان . وهكذا أفهمتني مع انك لم تخض في موضوع المحبة المخلصة ؟

ما رأيك في ان يرغب المرء في لاتحاد بمن يحب ؟ لو ان الأمر متعلق بفتاة من الشارع ، لما كنت ألومك ان أجبت بالنفي . اما بالخطيبة فماذا تقول ؟ أعني الفتاة التي تحب وتشعر انك واياها واحد والتي تعهدتَ لها وهي تعهدت لك لمدى الحياة ؟ لماذا يجب ان يتوقف المرء عند حدود المعانقة في الوقت الذي يمكنك ان تقول فيه بحق انك لها وهي لك ؟

قلت لي اني لا أقدر ان أتصرف مع أية فتاة كانت بهذه الطريقة الخالية من الكلفة « وأنا اوافق . ولكن ألا يستطيع المرء ذلك مع

خطيبته ؟ فان كان المفروض في زمن الخطوبة ان يكون زمن اختبار فلماذا لا يختبر الانسان ذلك الشيء ايضاً ؟ هل تدعو ذلك ايضاً « زنى » ان استسلم الخطيبان كلياً لبعضهما البعض ؟

سمعت احد الرعاة يقول مرة : «الزواج حديقة يُسمح فيها بكل شيء. اما خارجها فكل شيء ممنوع » نعم، ثم فجأة في يوم عرسي ينتظر مني ان اكون رجلاً كاملاً فهل تتصور ذلك ممكناً ؟

ارجو ان لا تسيء فهمي : انا لست اطالب بأن اصرف ليلة مع فتاة من الشارع بل اتكلم عن س. التي انا مزمع ان اتزوج بها .

هل حقاً نحتاج اولاً الى اذن من دائرة النفوس او الكنيسة لكي نتمكن من الاتحـــاد في الجسد ؟ نحن نشعر في دواخلنا منذ الآن وكأننا زوج وزوجة تماماً كما سنكون بعد العرس .

احسّ احياناً وكأن س. تنتظر في سرّها اللحظة التي تصبح فيها ملكاً لي بالتمام . وبالمناسبة لي صديق سبق له ان دفع نصف اكلاف عروسه ولم يرد ان يقيم علاقات جنسية معها قبل العرس . فما كان من عائلة الفتاة الا ان ارجعت له ماله خوفاً من ان يكـــون مصاباً بالعجز الجنسي . لست ادري ان كان يخامر س. شك من هذه الناحية لأني لا اعاشرها . ومن يـــدري .. فقد تظن اني لا احبها فعلاً .

فإلى متى ابقى على هذه الحال ؟ وكم يجب ان نبقى منفصلَين ؟ حبذا لو عرفنا متى تأتي نهاية كل شيء . نحن لا نتوقع الحصول على الموافقة على الزواج قبل اربع او خمس سنوات او ربما عشر سنوات. فهل نهرب ، والى أين ؟

ف.

عزيزي ف.،

المؤمن هو انسان قادر على الانتظـــار . قدّم لي احدهم هـذه النصيحة وانا بدوري أبعث بهـا اليك : انتظر حتى موعـد الاتحاد الكامل . فان لم تنتظر لن تربح شيئاً بل على العكس سوف تخسر كثيراً . وخسارتك يمكن التعبير عنها بكلمات ثلاث : الحرية والفرح والجمـال .

سوف تخسر الحرية :

دعني اخبرك عن شخصين اعرفهما . فكّر هـذان ان الواحد منهما يحب الآخر وشعرا مسبقاً كأنهما زوج وزوجة بعد مرور ستة اشهر ادركا انهما كانا مخطئين فتصارحا ووافقـا على فسخ الخطوبة . وهكذا تم كل شيء بهدوء وسلام دون ان يترك وراءه اثراً سيّئاً .

فلو ان هذين استسلما لبعضهما البعض كلياً لكان فسخ الخطوبة غير ممكن . اني اعلم ان شعورك تجـــاه س . اعمق بما لا يقاس من شعورك تجاه فتاة اول السنة . ولهذا انصحك بالانتظار . فكلما كان الشعور قوياً كان الجرح بليغاً في حال الانفصال .

سمعت رجالاً مضى على زواجهم سنوات عدة يقولون لزوجاتهم : « عرفت قبـل العرس اني كنت مخطئاً في اختياري . ولكننا كنا تمادينا الى الحد الذي لم اجرؤ فيه على فسخ الخطوبة . وما عليّ الآن الا ان ادفع ثمن غلطتي » .

انه لمما يسرّني ان اقرأ في رسائلك ان المحنة التي تختبرها هي من النوع القوي والصادق والغالب . ومع ذلـــك فالشعور يمكن ان

يخدعك . لانك قبل ان تقرر ما اذا كان الشيء يدوم فعلا ، فأنت تحتاج الى وقت طويل . لقد دلت دراسة حديثة في اميركا على ان معظم الزيجات السعيدة سبقها تعارف الشريكين لعدة سنوات ومرورهما في فترة الخطوبة لبضعة اشهر قبل القران .

تثبت صحة الشيء ان كانت نتيجة امتحانه سلبية . وفترة الخطوبة هي فترة امتحان فقط ان صحّ ان هناك امكانية لفسخها . ان فسخ الخطوبة شر بل هو مؤلم وما من انسان يحبه . اما اذا قورن بطلاق في المستقبل فانه يصبح ولا شك شراً أصغر .

سوف استعمل صورة الولادة مرة اخرى لاجل مزيد من الايضاح لمعنى الخطبة . فان شبّهنا الزواج بطفل على عتبة الولادة فتكون فترة الخطبة أشبه بالزمن الذي يسبق الولادة . والخطبة المفسوخة تكون عندئذ كالاجهاض الذي يحدث حين يكون الجنين عاجزاً عن الحياة . ففي اللحظة التي تتحدان فيها يصبح الاجهاض تقريباً من باب المستحيل . ولا يعود في امكانكما التراجع لان الانفصال والحالة هذه يكون أشبه شيء بالقضاء على الجنين .

اذاً أنت تخسر حريتك . وبالاضافة أنت تقضي على الفرح المترتب عن الانتظار والنمو والنضوج .

أدلت سيدة متزوجة ، في حديث لها عن اختبارها قبل الزواج ، بما يلي : « لفترة من الزمن سار كل شيء على ما يرام . تبع ذلك حمل غير منتظر . فاضطررنا الى تغيير ترتيباتنا وخلقنا الاعذار لذلك . وهكذا تمّ عرسنا بسرعة وبدأنا حياتنا الزوجية بجفاف ودون رونق . وكانت النتيجة خسارة في خسارة » .

ان ولادة طفل قبل موعده تشكل خطراً على حياته . طبعاً بعض الاولاد الذين يولدون قبل وقتهم يتغلبون على الموت وان يكن بصعوبة .

انا لا أعتقد ان س. يخامرها أدنى شك من جهة محبتك ان كنت تضبط نفسك . ثمة امكانية كبرى في ان تزداد محبتها لك . ولا تنسَ ان وجودكما معاً ما زال في مرحلة سرية . ومن المناسب في مرحلة كهذه ان لا يكشف الواحد منكما للآخر نفسه كثيراً ، اذ يكون من الضروري ان تبقى ليوم العرس منطقة مجهولة يجب اكتشافها عند كليكما .

بالطبع ان الناحية الجنسية في زواجكما مهمة جداً . فأنت تعلم مسبقاً انك لست عاجزاً كما ان س تعلم ذلك . وان كان لديك شك فالطبيب كفيل باظهار ذلك. اما ان تجرح مشاعر س. او ان تغامر بسعادتك فهذا ما ليس له مبرّر .

ان الانسجام الجنسي لا يمكن تجربته ، حتى ان الخطيبين لا يقدران ان يجزما به بثقة قبل العرس . فهناك شرطان ضروريان لا يتوفران قبل العرس : الوقت الكافي والتحرر الكامل من الخوف .

لنفرض انك جربت المسألة وكانت النتيجة سلبية ، ولنفرض انك لم تفلح كما ظننت، فهل تقول عندئذ : « يجب ان نفسخ الخطبة ؟ » لا أعتقد انك تقبل بهذا ، لان محبتك ليست سطحية الى هذا الحد . فلماذا تريد اذن ان تجري مثل هذا الاختبار ؟

ما من أحد يتوقع منكما ان تكونا زوجين كاملين في يوم عرسكما . فليس هناك ما يمكن ان ندعوه زوجين كاملين. انما هناك

نمو مشترك نحو الكمال. وغالباً ما تمر سنوات قبل ان يتمكن الرجل والمرأة من تكييف نفسيهما والعيش معاً بانسجام. والوقت الكافي الذي تحتاجه للنمو لن تجـــده خارج الزواج. وكل ما يمكنك ان تفعله قبل الزواج هو ان تحصّن نفسك ضد الاختبارات التي تعيقك عن النمو.

أنت لا تقدر ان تحمل بطيختين في يد واحدة. ان سحر فترة الخطوبة وجمالها يكمنان في بقاء سر واحد او غرفة واحدة لا يجوز ولوجها الا متى أزفت الساعة.

تصور مثلاً ان أباك يريـد ان يفاجئك بهدية ميلادية هي عبارة عن دراجة هوائية. فانه يشتريها ثم يخبئها بكل حرص. ولكنك تذهب وتأتي بها خفية لتجربها. وعندما يحل عيد الميلاد تضطر ان تتظاهر بالبهجة وكأن الهدية كانت مفاجأة لك. اما الواقع فيكون جفافاً وفراغاً.

فان كنت تنتظر فستجد ان يوم عرسك وليلتك الاولى سيكونان اكثر بهجة ورونقاً. ولن تفهمني تماماً الا عندما تصل الى تلك الليلة. فالعرس ليس مجرد شكليات بل، عندما تشهد علناً امام الله والناس انك صرت لها وهي لك، ستجد ان اختبار الزواج سيكون اكثر عمقاً والاستسلام المتبادل أعمق معنى.

كثيراً مـــا نقصّ على اولادنا في اوروبا هذه القصة: ساحرة وضعت ابنة أحد الملوك تحت تأثير سحرها. وكان عليها ان تبقى نائمة مئة سنة الى ان يوقظها أحد الامراء بقبلة. وحفاظاً على الاميرة

اقيم سياج من العليق حول القصر . وكان ان الامراء الذين حاولوا دخول القصر قبل مرور المئة عام علقوا بالسياج فماتوا . امـا الامير الذي لاذ بالصبر فوجد ان العليقات أفسحت له الطريق لكي يدخل الى قصر الاميرة .

كل ما استطيعه هو ان أضعك بين يدي الآب السماوي القادر ان يمتعك بما هو افضل . ودعني اكرر : « المسيحي هو انسان قادر على الانتظار » .

لن تتمكن من مراسلتي خلال الاسابيع القليلة القادمـــة لأني ماضٍ في رحلة الى الشمال. وسأعود بمشيئة الله قبيل عطلة الميلاد .

ت.

ي... ٢٠ ت٢

عزيزتي السيدة انغريد ،

لما عرّفني ف. بك بعد اجتماع امس مساء ، فوجئت لدرجة انني لم أقدر ان انبس ببنت شفة . ومن سوء حظي انكِ اضطررتِ الى مغادرتنـا وان زوجكِ لم يكن برفقتك . اني اتوق الى التعرُّف به ايضاً .

كنتُ أودّ ان أكتب اليك قبلاً . اما الآن ، وبعد ان تقابلنا ، أصبح الأمر أيسر جداً عليّ .

من الغرابة بمكان اني لا اقدر ان اكتب الى والدي مع انه سبق لي ان دوّنت بعض ما يجب ان اقوله ، بل شرعت في كتابة رسالة اكثر من مرة ، لكني عدت وتوقفت وكأني لا استطيع اكمالها اطلاقاً .

ما زلت اشعر انكِ قادرة على فهمي . فقد تظنين اني سعيدة ، واني كذلك . لكني في نفس الوقت احسّ بثقل على قلبي وتخامرني الشكوك والمخاوف .

اشك مثلاً فيما اذا كان ف. يحبني . فهو لم يعبّر لي البتة عن حبّه لي بل انه كثيراً ما يسألني ان كنت انا احبّه وانا لا أُحير جواباً في غالب الاحيان . اما هو فلا يصرّح بأنه يحبني وهذا ما يثير في قلبي الشكوك . فأنا لا اقدر ان احبه الا تجاوباً مع حبه لي . يبدو انه يظن ان التعبير عن الحب وأسباب الحب أمر غير ضروري . فكيف احبه اذاً ؟ انه يتركني بين الشك واليقين . فكيف اقدر ان امتحن الحب ؟

كتب زوجك الى ف. مخبراً اياه بقصة الاميرة . واني اتساءل ماذا فعل الامير بعد ان ايقظ الاميرة ؟ ألم يكن حريصاً ولطيفاً جداً لئلا يخيفها ؟ ألم يعبّر عن حبه لها وعن اسباب ذلك الحب ؟

لقد تشاجرنا مؤخراً حول امور تافهة وسخيفة . كنا راكبين على دراجتينا كعادتنا كل يوم فأصيبت عجلة دراجتي بعطل واضطر ف. الى اصلاحها . لكنه استاء – وانا كذلك – لأن قسماً كبيراً من وقتنا ضاع . وأسوأ من ذلك انني كنت قد تركت المنفاخ في البيت

خوفاً من ان يسرق . فشرع ف. يوبخني ويقول ان الفتيات بليدات في عقولهن . وهكذا جرح مشاعري لانه كان فظاً. ولم يدعني عنادي ان انبس ببنت شفة فيما كنا نجرّ دراجتينا نحو البيت ولكننا بالنظر الى عدم اهمية الموضوع تصالحنا في اليوم التالي غير اني اسائل نفسي: ان كنا منذ اليوم نتشاجر فماذا عسانا نفعل فيما بعد ؟

ثم اني خائفة . فأنا لا أعلم ان كنت قادرة على انجاب اولاد أم لا . وأخاف ان يطلقني ف. إن وجد اني عاقر. او ربما يتخذ لنفسه زوجة ثانية على غرار مـا فعل والدي . فهل من مبرر للزواج دون انجاب اولاد ؟

ثم هناك مشكلة اخرى . استلمت مؤخراً رسالة من شاب اسمه السيد هـ. وهو أخو عم صديقتي ب. التي ساعدت ف. على ايجـاد عمل له كمعلم في ي. والسيد هـ. هذا يعمل في وزارة المال وله وظيفة محترمة . وبالاضافة فقد حاول مرة ان يصعدني معه في سيارته .

نعم ، انا رفضت دعوته . ولكن ماذا أفعل ان دعاني ثانية ، لا سيما وانني لا اريد ان أكون عديمة الذوق ؟

أرجو الاجابة على رسالتي .

س.

ي... ٩ ت٢

عزيزتي الآنسة س.، وزارة المالية

اخبرتني صديقتك ب. عنكِ ، وانا أرغب في التعرف بك . ويشرّفني ان أكون في انتظارك في سيارتي عند الساعة الخامسة مساء خارج باب مدرستك . السيد هـ.

ب... ١٨ ت٢

عزيزتي س.،

إني افهمك جيداً يا اختي العزيزة . وفي امكاني ان اطلعك على رسائل من ايام خطوبتي اعربت فيها عن نفس المخاوف والشكوك . ولكنني يا س. كثيراً ما نعقّد الامور على الرجال . من جهة نحن نريد الرجل قوياً وحكيماً لا ينجرف بالعاطفة . ومن جهة اخرى نريده مملوءاً عاطفة ليّناً وتواقاً الينا . فأي رجل يستطيع ان يجمع في نفسه هذه الرغبات المتناقضة ؟

سأحاول ان اكتب الى ف. مباشرة . وإن لم يطلعك على الرسالة فلا تحاولي ان تسأليه عنها . وامامكِ طريق واحدة ألا وهي ان تقولي له بصراحة واخلاص عما يؤلمك او يعكر صفو علاقاتكما . وما دمت قادرة على عمل هذا فلا خطر على زواجكما .

شيء آخر : أنت لا تقدرين ان تمتحني او تقيسي مقدار الحب

قبل الزواج ، اذ ليس من الصحيح ان الزواج فقط ينتج عن الحب . فالعكس هو ايضاً صحيح : الحب ينتج عن الزواج – وان يكن ببطء احياناً . تقول قصة اسحق ورفقة في العهد القديم : « فأدخلها اسحق الى خباء سارة امه وأخذ رفقة فصارت له زوجة وأحبها » (تكوين ٢٤:٦٧) . انهما تزوّجا مع ان الواحد منهما لم يرَ الآخر من قبل . أي ان الوقوع في الحب تمّ فيما بعد .

ان معظم الزواجات التي ترينها حولكِ لم تعرف في بدايتها شيئاً اسمه محبـــة شخصية عنيفة . وفي الغالب لم يؤخذ رأي البنات في الموضوع . وأنت تعلمين ان ليس جميعهن غـير سعيدات . ذلك لأن المحبة تولدت بعد العرس كاحدى ثمرات الزواج .

قال هندي لأوروبي ذات مرة: «أنتم تتزوجون بمن تحبون ونحن نحب من نتزوج بهنّ . وعبّر هندي آخر عن الفكرة بقوله : « نحن نضع الحساء بارداً على النار فيسخن تدريجياً . امـــا أنتم فتضعون الحساء الحار في صحن بارد فيبرد تدريجياً » . وعليكم أنتم الافريقيين ان تقرروا الى أية فئة أنتم منتمون .

إن اكتب اليكِ بهذا الاسلوب فلكي لا تنظري الى الحب بأكثر مما هو . نعم الحب مهم لكنه لا يصبح ناضجاً تماماً الا في جوّ الزواج .

الاختلاف في وجهـات النظر ليس امراً صالحاً فحسب بل انه ضروري. ان زوجي يتردد احياناً في تزويج شخصين لم يختلفا البتة. فالمهم ليس انكما لا تختلفان بل كيف تسوّيان خلافاتكما فيما بعد . هذا هو الفن الذي يمكن تعلمه ، لا بل يجب تعلمه قبل الزواج. وما

دمتما تسامحان بعضكما بعضاً فلا حاجة بكما الى القلق على مستقبل زواجكما .

فغير المستعد للاعتذار اولاً بعد الشجار لا يجب ان يتزوج ، وكذلك من ليس عنده روح المرح . انه لشيء سليم جداً ان كان في مقدوركما ان تضحكا على نفسيكما بعد الخصام .

قد يكون الانتظار اكثر سهولة عليكما ان كان لا يشاهد أحدكما الآخر يومياً . في هذه الحالة يصبح لقاؤكما ذا قيمة أكبر . على أية حال ليست هناك قاعدة لهذه المسألة ويتحتم عليكما ان تكتشفا ما هو الافضل لكما .

كم افهم أمنيتك جيداً – أمنية قلبك في ان تكوني اماً سعيدة . اما العقم فسببه الغالب هو الامراض الزهرية . لهذا السبب تكون امام الفتيات العذارى فرصة كبرى للصيرورة امهات . ولكنك لا تقدرين ان تعرفي ارادة الله من هذا القبيل ما لم تتزوجي اولاً . عندئذ فقط يمكنك ان تعلمي انه سيكون في امكانك ان تصيري اماً هبةً لكِ من الله . وليست هناك طريقة اخرى .

ولكن اياكِ ان تظني انك ان حملت قبل الزواج يمكنك ان تقارني بين اختبار كهذا وبين سعادة الأمومة العميقة. نعم، قد تُحلّ مشكلة وهي انك تعرفين انك قادرة على الانجاب . عدا هذا تبرز امامك مشاكل جديدة وكثيرة ، ومنها انه لا يكون هناك منزل يولد فيه الطفل العتيد ولا أب يحمله على ذراعيه . وقد ينشأ جدال حول من سيحتضن الطفل ما دام الأب لم يدفع نفقات العروس . ثم تجدين نفسك مضطرة الى ترك المدرسة والى احتمال الهزء والسخرية

من معلماتك وزميلاتك في الصف . ومقابل التأكد من قدرتك على الحمل سيكون نصيبك الشعور بالعار والذنب وتأنيب الضمير وفقدان احترام النفس. والقضية لا تستحق كل هذا الثمن العالي والغالي جداً.

أم هل ترغبين في سرّك ان ترغمي والدك ، عن طريق حملك هذا ، على القبول بالعرس ؟ أرجوكِ تكراراً ألا تفعلي . لا تحطي من قدر طفلك بحيث تجعلينه وسيلة لغايتك الشخصية . فالله حل آخر ان كنتِ تصبرين وتنتظرين .

سلّمي كل مخاوفك من جهة الأمومة الى الله . حتى ولو لم ترزقي بولد فذلك لا يبرر الطلاق . كما انه لا يكون من حق زوجك ان يتخذ لنفسه زوجة ثانية اذ كان زواجكما قد دُوِّن في سجل المتزوجين بامرأة واحدة .

للزواج المسيحي معنى وقصد حتى ولو لم ينعم الله بأولاد على الزوجين . والكتاب المقدس يتحدث عن الزواج في بضع اماكن فقط . ومما يلفت الانتباه ان احدى الآيات قد اقتبست هي نفسها أربع مرات : « لذلك يترك الرجل أباه وامه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً » (تكوين ٢:٢٤ ؛ متى ١٩:١٥ ؛ مرقس ١٠:٧ ؛ أفسس ٥:٣١). ولاحظي كيف ان هذه الآية الرئيسية المكررة أربع مرات لا تأتي على ذكر الاولاد مطلقاً . ان الاولاد ، حسب الكتاب المقدس ، هم بركة اضافية من الله . ولكنهم ليسوا المبرِّر الوحيد للزواج . فان محبة الشريكين بعضهما لبعض او صيرورتهما جسداً واحداً امام الله هي أحد معاني الزواج وما يمكن ان يتم بالزواج في حد ذاته .

اما السيد ه فقضيته خطيرة . انني لم أعجب برنّة رسالته . انصحكِ باطلاع ف. على الموضوع لئلا ينشأ سوء تفاهم بينكما بسببه . وانصحك ايضاً بأن لا تقبـــلي دعوة منه مهما كانت الظروف والاحوال .

انغريد ت.

ب... ١٩ ت٢

عزيزي ف.،

ان زوجي الآن في رحلة ولا يستطيع الكتابة اليك في الوقت الحاضر. ولهذا انا اكتب اليك اليوم وأريد ان اخاطبك كأختٍ لك.

لقد وضع الله كنزاً عظيماً بين يديك ألا وهو محبـة س. لك . واريد ان اساعدك للحفاظ على هذا الكنز بالطريقة الصحيحة .

ليست المحبـــة شيئاً يُمتلك او يوضع في الجيب ، بل شيء يجب كسبه دوماً – مرة تلو الاخرى . كتب لي ڤالتر اثناء خطوبتنـا السطور التالية :

« من يُحب لا يبقَ وحيداً لأن الحبيب يكون معه دائماً . ومن يحب لا يرغب في البقـاء متمركزاً على نفسه . انه يسمح لآخر ان يكون وإياه نقطة الارتكاز في حياته ويحسّ ان ذلك ربح وسعادة

عظيمان . انه يهب نفسه ويندفع لا بل يصير كيدٍ مفتوحة وفارغة تنتظر ان تنـال شيئاً . ومن يحب فله الجرأة على ان يكون انساناً يحتاج الى شيء ما » .

ان ما تحتاجه س. فوق كل شيء هو ان تؤكد لها حاجتك اليها . كيف تستطيع ان تؤكد لها ذلك ؟ بهذه الطريقة فقط – ان تقول لها مرة بعد اخرى : « اني احبك واحتاج اليكِ » . فهي لا تسمع هـذه العبارة الا نادراً . ويتحتم عليك ان تكون شجاعاً في ان « تكون انساناً يحتاج الى شيء ما » .

ان الفتاة يساورها الخوف عندما يعتبر الشاب حبها من قبيل تحصيل الحاصل ولا يبالي في التعبير عن حبه لها .

تختلف محبة الزوجة عن محبة الأم او الأخت. ومحبة س. لا يمكن ان يكتمل تفتحها الا اذا تجاوبت مع محبتك لها .

كتب الرسول بولس الى الكنيسة في أفسس قائلاً: « ايها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح ايضاً الكنيسة » . فنحن نحب المسيح لانه هو أحبنا اولاً . أي ان محبتنا هي صدى محبته العظمى لنا . والشيء الغريب ان بولس لم يعظ النساء بأن يحببن رجالهنّ ...

لست افكر الآن بالحب الجسدي . فأنت لا تقدر ان تقنع س. بمحبتك لها عن طريق العناق والتقبيل ، فهي تريد ان تشعر بأن قلبك يسعى وراء قلبها وانك تريدها هي لا جمال جسدها .

ان الشاب وجسده واحد . أي ان جسدك هو أنت . اما الفتاة فتحسُّ انها في جسدها . لهذا تشعر س. ان كيانها الداخلي ليس

ظاهراً في جمالها الخارجي وحسب. وعليه فهي تريد ان تُحَب لاجل ذاتها وليس لاجل جمالاتها .

لذلك فان ضمّها الى صدرك هو أقل اهمية بكثير في نظر س. مما تتصرف به بشكل عام . فان كنت تريد ان تتصرف بشكل مهذب فحاول ان تساعدها على ركوب الدراجة او ان تفتح لها الباب لتدخل امامك – امور كهذه لهي أهم بكثير من قبلة تقدمها لها . قالت لي امرأة مضى على زواجها سنون كثيرة وهي تتنهد : « يا ليت زوجي يقول لي شكراً مرة واحدة فقط عندما اهيىء له طعاماً لذيذاً » .

ومما يجرح قلب الفتاة اكثر من أي شيء آخر هو ان تكون لطيفاً مع غيرها اكثر مما أنت معها . لانها تلاحظ عندئذ انك تعاملها وكأنها قطعة من متاع .

عندما التقينا مؤخراً في الكنيسة كنتَ والحق يقال لطيفاً جداً معي . نعم عرفتني الى س. لكنك لم تدعها تقول كلمة اثناء حديثنا معاً . ثم ان رزمة الكتب التي كنت قد جلبتها لها لكي تقرأها استعداداً للرواج ، قامت هي بحملها كل الطريق دون ان تكترث أنت في حملها عنها ...

أراك تضحك ، ولكن هل تضحك بالحقيقة ؟ قد تقول ان هذا لشيء بسيط وتافه . ولكن اعلم ان امراً كهذا هو شيء كبير وعظيم الأهمية لقلب الفتاة .

لا تكن بخيلاً في الكلام . حاول ان تشجعها لكي تطلعك على

كل ما يكدرها وما تريد ان تراه فيك . أنصت اليها بمحبة وليس فقط بصبر ان الشيء الأهم ليس في ان تكون أنت سعيداً بل في ان تجعلها هي سعيدة ، ليس في ان تُفهم أنت بل في ان تفهمها هي .

انغريد ت.

ي... ٣٠ ت٢

عزيزتي السيدة انغريد ،

... كم تعزّيت برسالتك ولا سيما حين قلتِ انك اختبرتِ ضيقات ومخاوف وشكوكاً مماثلة . يحاول البيض دائماً ان يعطونا الانطباع بأن زواجاتهم مثالية خالية من المشاكل . وفي نفس الوقت نقرأ في الصحف عن الطلاقات الكثيرة في اوروبا واميركا - ولا نستطيع ان نوفق بين الحالتين .

هذا ما جعل رسالتك ذات معنى ومغزى كبير لنفسي . فأنا اشعر ان في استطاعتي ان اخبرك كل شيء . وبالمناسبة ، الرسالة الى والدي أصبحت جاهزة تقريباً انما على قصاصات صغيرة من الورق . وهي تحوي كل الافكار التي أرغب في كشفها له لو كان ذلك في مقدوري . ولكني لا أقدر - لا أقدر ان ارغم نفسي على ارسالها.

لست أشعر بارتياح من جهة السيد هـ. وهاكِ رسالة اخرى منه . ففي كل يوم تقريباً اتسلّم منه رسالة من هذا النوع تحمل هذه

العبارات التافهة التي يبدو وكأنه نقلها من احدى روايات الحب الرخيصة .

اشكرك جداً على نصيحتك الواضحة . فلقد رفضت الدعوة بواسطة صديقتي ب. لأني أفضّل ان لا اكتب اليه بنفسي بل لست اريد ان تكون المكاتبة شيئاً وارداً على الاطلاق .

س.

ي... ١٩ ت٢

عزيزتي الآنسة س. ،

يؤسفني جداً انك لا تتفرغين لي. غير ان حبي لك يزداد يوماً فيوماً . فأنت تاج قلبي وبهية كالقمر .

لقد ارسلت اخي الى ابيك في ك. وهو موافق كلياً . وسأرسل اليه حالاً مبلغاً من المال زهيداً في نظري . ومن ثمّ لن يحول شيء دون سعادتنا .

ستقام في الاسبوع القادم مأدبة كبرى لكبار الموظفين في الدولة وأرغب في دعوتك اليها . وسيكون خالك من بين الحاضرين .

سوف تكونين سعيدة في الزواج مني اذ يكون في استطاعتك ان تقتني الخدام وتحصّلي مالاً لنفسكِ اذا شئتِ . كما سيكون في

امكانك ان تعيشي كالبيض تماماً لأن حياتنا الاجتماعية ستكون في اوساط المثقفين فقط .

الا ان الحبّ يكون في اجمل مظاهره في الليل .

السيد هـ.

ي... ١٥ ك١

عزيزتي السيدة ت. ،

مرّ عليّ اسبوعان من العذاب . ففي كل يوم كنت انتظر منك رسالة ولكن يبدو انك منشغلة بالاولاد وان وقتك قصير في هذه الفترة قبل الميلاد .

يأتي السيد هـ. بسيارته في كل يوم ويقف عند مدخل المدرسة . وعندما نخرج على دراجتينا يأخذ في ملاحقتنا والتجسس علينا ليعرف اين نذهب وماذا نفعل .

ومؤخراً التقيت به في بيت خالي عند رجوعي من المدرسة . وكان عمّ ب. ، الذي وجد عملاً لـ ف. ، حاضراً ايضاً . من هنا عرفت ان المسألة مدبرة . ومن ثم ذهبنا الى حفلة كوكتيل. تصوّري ان تحت اسم « كوكتيل » تقوم السفارات الاجنبية في العالم بتعريف مجتمعنا على «مدنيّتها» . وذهب خالي الذي اسكن عنده معنا ايضاً . نحن الفتيات الافريقيات لا نستطيع ان نقاوم ارادة آبائنا .

لم ارقص ولكني لم اقدر ان أتجنب اصطحاب السيد هـ. اياي في سيارته الى البيت وحيداً . وقال انه مصمم على الزواج بي ، بهذه الكلمات بالذات ، وكأنه يصنع معي معروفاً دون ان يسأل عن رأيي في الموضوع .

وأراد ان يقبّلني فوراً كما لو انه يريد ان يلتهم قطعة من الموز . وكانت تفوح منه بقوة رائحة الخمور بشكل يبعث على التقزز .

انه يكبرني بعشرين سنة وهو متزوج وله ولدان . ويقول ان زوجته أمّية لا تعرف الفرنسية وترفض السكن في المدينة . وبما انه موظف في الحكومة فانه يحتاج الى زوجة في ي. يستطيع ان يعرف الآخرين بها وتستطيع هي بدورها ان تستقبل الضيوف وتقوم بواجب الضيافة وقد اختارني لأجل هذه الغاية .

لقد صرح لي انه قادر ان يدفع ما يتوجب عليه . واعتقد ان دخله يفوق دخل ف. بعشرين مرة على الأقل . وهو سيزور والدي حاملاً معه جميع انواع الخمور وبضعة صناديق من البيرة . وبالاضافة فقد اشترى جهاز راديو لأبي وماكنة خياطة لأمي . وسألني عما يريده اخوتي من هدايا لكني لم احِرْ جواباً . وكم كان سروري عظيماً باني نزلت من السيارة دون ان يعتدي عليّ . غير اني بكيت الليل بطوله .

المال ! انه يوظف ماله بالنساء . هذا ما يفعله الاغنياء . اما الفقراء ، في افضل الحالات ، فيستأجرون فتاة لبضع ليالٍ — فتاة لا يرغب فيها احد على أية حال .

كلا ! اني لعلى خطأ . فالمال لا يجعل للانسان قيمة . انه يحطّ من

مقامنا ويجعلنا كبضاعة التاجر . وقد يجعلنا من البغايا او زوجات اضافيات لاحد الاغنياء . وهذه ليست من العادات الافريقية الشريفة ولا هي تقدمة شكر للوالدين بل هي بالحري تجارة رقّ .

فإن قبل والدي مالاً من السيد هـ. فهذا يعني انه قد قُضي عليّ نهائياً. أي انني سأتزوج منه وسأصبح لافتة لاعمال السيد هـ. وهدف الزواج في هذه الحالة هو ان الزوجة تصبح كموظف المبيعات لزوجها.

بالطبع لقد اخبرت ف. بكل شيء . ولو لم يكن زوجك في رحلة لكان كتب اليه في وقت سابق . انه في حالة فشل ذريع وقد عاد الى الانكماش على نفسه ولكن محبتي له ازدادت كثيراً .

لكن ما الحل ؟

يعتقد ف. انه في حال قبول والدي مالاً وهدايا من السيد هـ. فلا يبقى امامنا الا شيء واحد وهو الهرب معاً .

ما رأيك في هذا الحل ؟ ارجو الجواب بسرعة .

يقول زوجك : « المؤمن لا يهرب » ، وهذا صحيح . ولكن ألا يعتبر هرباً ايضاً ان ارغم الانسان على الزواج والتخلي عن النضال والحب ؟

س.

عزيزيّ الراعي وقرينته

هـذه هي الرسالة الاولى التي نكتبها معاً ونوجهها اليكما معاً. لقد هربنا. والرد الذي ارسلتماه جواباً على رسالة س. لم يصـل الى ي. قبل مغادرتنا اياها. فقد تكونان نصحتمانا، على ما نظن، ان لا نهرب. ولكننا نأمل ان تفهمانا جيداً: اننا لم نجد طريقة اخرى للخروج من المأزق الذي كنا فيه.

لقد ترامى الى اسماعنا ان والد س. قبل مالاً من السيد هـ. وانتما تفهمان معنى ذلك أي ان س. أصبحت من الآن فصاعداً حقاً شرعياً له. فكان علينا ان نستخدم السلاح الوحيد الذي بين أيدينـا ألا وهو الهرب.

اننـا قررنا الهرب معاً وتحمل النتائج معاً حتى السيّىء منها. وبالنظر الى ابتداء عطلة المدرسة فقد وجدنا من السهولة ان نعدّ كل شيء دون اثارة الريبة حولنا.

كتبتما لنا مرة قائلين ان يوم العرس هو اليوم الذي يولد فيـه الزواج. وقلتما: « ان الولادة السابقة لأوانها تشكل خطراً ».

ولكن أليس ثمة ولادات فات وقتها؟ أوَليست هـذه اكثر خطورة؟ ومن ثمّ يضطر الطبيب الى التدخل واحياناً الى اجراء عملية قيصرية لانتزاع الطفل من احشاء امه كي ينقذ حياته.

ان هربنا أشبه بالعملية القيصرية. ونحن لا نعلم ماذا سيحدث — أين سنسكن او علامَ نعيش. اننا نعلم شيئاً واحـداً ألا وهو اننا اصبحنا زوجاً وزوجة.

لقد تركنا ابانا وامنا والتصقنا الواحد منا بالآخر وصرنا جسدا واحداً . وهكذا تممنا ما ورد في تكوين ٢:٢٤ . وهذا لا يحتاج الى مال ولا الى زواج مدني ولا الى قس . لا بل نحن لا نحتاج الى تقاليد او عادات او دولة او كنيسة . وكذلك لا نحتاج الى خمر ولا الى اوراق ولا الى ترنيم . كل ما نحتاج اليه هو الله . فانه لا يتركنا ، في حين ان كل ما عداه قد تخلّى عنا .

ان عاداتنا ليست ضمانة للزواج بل انها تسحق الزواج تحت اقدامها . لانها تسهل استراق العروس بمجرد التوقيع على شيك . ثم ان الدولة نفسها تعيل الأم غير المتزوجة والطفل الذي لا أب له . وما على الراغبين في الزواج الا ان يذهبوا صفر الايادي .

الكنيسة تنصحنا بالانتظار ولكنها لا تقدم لنا أية مساعدة حين نفعل ذلك ، كما انها لا تساعدنا في حال هربنا . وكذلك لا يجرؤ أي راعٍ ان يستقبلنا في بيته .

وأنتما ايضاً لم تجيبا على رسالتنا الاخيرة . ونحن لا نلومكما ونرجو ايضاً ان لا تلومانا او تديناننا . فاننا نريد ان نبقى ابنين لكما في المستقبل .

ان س. مريضة وهي طريحة الفراش . لقد اصيبت بالرشح في الليلة التي هربنا فيها لانه كان علينا ان نسير على اقدامنا مسافة طويلة . انها تبعث بتحياتها الخاصة الى اولادكما .

لم نخبر أحداً عن مكان وجودنا حتى ولا أنتما . لهذا لن تستطيعا ان تكتبا الينا الآن . انما يمكنكما ان تفعلا شيئاً واحداً : ان تصليا لاجلنا . ونحن نثق انكما ولا بد فاعلان ما نطلب .

ف وس.

الى القارىء

يقودنا الله مراراً وتكراراً في منعرجات حياتنا الى منعطفات حيث نقف حائري القوى حيارى . بالنسبة الى ف. وس. ، كان هذا المنعطف مهر العروس ، وقد يختلف هذا الاسم بيني وبينك . قد تدعوه وضعاً اجتماعياً او اجحافاً عنصرياً او تمايزاً دينياً . ولربما يتسبب في هذا الرجال او الاحداث. على أية حال، اسم هذا المنعطف غير مهم ، اما كيف نواجهه فهذا المهم .

فهل وقف ف . وس . صامدين عندما واجها هذا الحد ؟

عليّ ان اعترف بأنني صعقت عندما رجعت من سفرتي ووجدت الرسالة الآنفة الذكر . ولكم تمنيت لو صبرا قليلاً . غير انه ، نظراً للاحداث التي كانا فيها ، لم يكن لهما أيُّ خيار آخر . ومن ناحية اخرى كان هربهما خطوة جبن . ألم يكن من طريقة اخرى تنجو بها س. من السيد هـ . ؟ فبالتأكيد لم يكن زواجها منه ارادة لله .

تسألني : لماذا هربا الى البرية ؟ لماذا لم يكن لهما من يحميهما ويقبلهما ؟ وأتساءل هل كان ف . مصيباً في قوله : انه لمن الصعب في افريقيا ان يكون المرء لا ملتزماً . وليس هنالك من يتحمل اعباء

مقاومة العشيرة كلها من اجل شخصين فقط . وهما لا يريدانني ان أزجّ بنفسي في مثل هذه المعركة . اما الهروب ، كما فعلا ، فهو أمر مألوف في افريقيا الحاضرة . فأزواج كثُر يُرغمون على احتذاء هذه الطريق ؛ وعلى كلٍ ، بضمير عاطل .

ويمكننا ان نلحظ بين سطور رسالتهما الاخيرة رجفة ضميرية . وما تهكمهما الصريح الا محاولة لاسكات الصوت الذي في داخلهما ، الصوت الغريب عنهما . ولربما يشعران الآن انهما اقترفا ذنباً بظنهما انهما اصبحا جسداً واحداً بكل معنى الكلمة بمجرد اتحادهما الجسدي. فكما انه عندما يولد طفل ويتعرض للنور يراه كل انسان ، فهكذا يجب ان يتم الزواج شرعياً وعلى مرأى من الجميع ؛ لأن الاجراءات العلنية الشرعية هي من أسس الزواج. وان ف. وس.، لدى كتابتهما رسالتهما ، كان شعورهما بالذنب عميقاً في قلبيهما .

وبذنبهما ، فتح الله عيني لأرى ذنبي انا ، وفجأة ادركت سقطاتي. فلم اجاهد في سبيلهما ، ولا استرشدت الوحي الالهي كفاية . فلماذا لم احدد موعد سفرتي في وقت آخر ؟ ولِمَ لم اسعَ لأرى س. ، ولا ذهبت بنفسي لزيارة والدها والتحدث اليه مواجهة ؟

وزوجتي ايضاً تتساءل كيف انها تركت رسالة س. ، دون اجابة عليها ، مدة طويلة . فعوضاً عن ان نأخذ بيد كل من ف. وس. ونسير معهما ، شعرنا ، انا وزوجتي ، كما لو اننا في طائرة نرسل اليهما برقيات لاسلكية .

وعندما نقف نحن على منعطفاتنا الخاصة ، ندرك مدى ذنوبنا . ويتضح لنا بأجلى بيان ، اننا لا نقدر على الوجود دون حقيقة صليب

المسيح يسوع . وقد ندرأ عنا التهمات ، ونتهم الآخرين ، لتبرير انفسنا .

ولكننا ، ان نحن واجهنا الصليب كالذين لا يقدرون على العيش من دون غفران ، فاختبار المنعطف اذاً يصبح جسراً يعبّرنا الى الله . وقد تكون الطريقة الوحيدة التي نبرهن فيها عن نفوسنا هي ان نقبل هزيمتنا بتواضع . فالذين يواجهون الله ، يواجههم هو ايضاً ، وقد تنتهي الطريق بهم بغير ما يفتكرون .

وهذه كانت الحال مع ف. وس. فقد أدت بهما الطريق الى وهاد عميقة . حتى ان رشح س تحول الى نزلة صدرية شديدة . ومن شدة مرضها نقلت الى قريتها بناء على طلبها .

فجاء ف. يستدعيني وهكذا صرفنا اسبوعاً لا ينسى بجوار فراشها . مضت ايام ولم نعلم ما اذا كانت س. ستعيش ام لا . وكانت هي وف. ينظران الى هذا المرض كقصاص من الله . ولما شفيت س. ، بطريقة معجزية تقريباً ، تعلمنا جميعاً باننا نعيش بالنعمة فحسب .

وقد لمس الله أبا س. بكل ما حدث . فإن احتمال موت ابنته غيّر كل مواقفه . وفوق هذا كله ، اثرت الرسالة التي سنقرأها في نهاية هذا الكتاب فيه . فهي تشير الى مستقبل جميع الذين هم في وضع مطابق لوضع ف. وس. وليس مستقبليهما فقط .

انها الرسالة التي اتينا على ذكرها مراراً في الماضي ، وهي رسالة س. الى ابيها . فقد تمكن ف. ، في اثناء مرضها الشديد ، من ايجاد قصاصات من ورق كانت س. قد كتبت عليها مسودّة الرسالة التي كانت عبارة عن افكار دوّنتها بطريقة غير مكتملة . وكان قسم

كبير منها قد اصلح ، او شطب ، ثم جُمع ، ثم ألغي مرة اخرى . وما ذلك سوى شهادة على الضيق الذي قاسته س. من جرّاء هذه الرسالة وعلى الجهد المضني الذي بذلته في سبيل كسب مودة ابيها وتفهمه لها .

لقد قمت بجمع الرسالة كلها على غرار ما يفعل المرء عند جمعه قطع الموزاييك . ومن ثم نظمتها واكملتها وبعثت بها الى والد س. ولقد تبيّن انها لم تُكتب عبثاً .

وهاكم الرسالة الآن :

عزيزي بابا ،

لم يسبق ان كتبتُ لكَ رسالة من قبل . فالأمر شاق عليّ. انما الأشقّ من ذلك فهو مخاطبتك شخصياً . ولهذا ارجوك ان تقرأ هذه السطور كما لو انني اتحدث اليك مواجهة .

أودّ ان اخبرك لماذا أحب ف. عندما أتخيله في فكري أراه مادّاً اليّ يده التي لي ملء الثقة بها . أتصوره يسير امامي بقليل ثم يتوقف ويدير وجهه نحوي مادّاً اليّ يده لمساعدتي على اجتياز الطرق الصعبة . فأقترب منه فيبعث في نفسي التعزية .

اني اشعر بتعزية غريبة معه لأني اقدر ان أجيبه عندما يكلمني . واقدر ان امسك بيده لأني لا اخاف حين يمدها اليّ . ثم انه لا يستعمل قوته بقصد ان يشعرني اني دونه او أقل منه . ومع ذلك أتأكد عند الحاجة انه اقوى مني . وفي حضوره لا ابالي بضعفي لأنه لا يسخر مني .

وهو ايضاً في حاجة اليّ ، ولا يستحي باظهار ذلك . وعلى الرغم من كونه رجلاً قوياً فانه ايضاً عاجز كالطفل . وهكذا تصبح يده القوية يداً مفتوحة وفارغة . ولا يكون أحلى على قلبي عند ذاك من ملء تلك اليد .

هذا ما أعنيه بقولي اني أحب ف. ولا بد انك تظن اني اصبحت نصف بيضاء في كتابتي لك هذه الامور . بل قد تلومني على احتقار عاداتنا الافريقية لأني اريد الزواج ممن احب لا ممن يقدر على الدفع.

غير ان دفع اكلاف العروس ليس عادة افريقية فقط ، بل كان عادة شائعة في اوروبا . لكن هـذه العادة تزول بصيرورة. الناس مسيحيين . وانا أكتب اليك الآن لا كافريقية اوروبية بل كافريقية مسيحية .

وكمسيحية ، أعتقد ان الله خلقني . وانا مدينة له وحده بحياتي. فما من أب أرضي دفع لله شيئاً مقابل ابنته . وعليه فلا يحق له ان يجني ربحاً من ورائها .

وكمسيحية ، اؤمن بأن يسوع المسيح مات عني ودفع الثمن الوحيد الفريد الذي يمكن دفعه لأجلي ألا وهو دمه . وكل ثمن عداه ما هو الا ثمن عبد .

وكمسيحية ، اؤمن بأن الروح القدس يرشدني. ولكني لا استطيع ان اتبع ارشاداته ما لم تكن لي حرية الاختيار .

ولأني اخترت ف. من تلقاء نفسي فسأكون امينة له . هل تعتقد ان المال يستطيع ان يمنع العروس من الهرب من زوجها ؟

لي صديقة قبض ابوهـا مبلغ ٥٠٠ استرلينية من الرجل الذي

تزوج بها . فكان شعورها ان جسدها قيمته عظيمة لدرجة انها فكرت في استخدامه لتحصيل المال لنفسها . وهكذا استسلمت لرجال آخرين مقابل دراهمهم . هذه هي المشكلة. فان كان دفع المال شيئاً حسناً ومقبولاً فلماذا لا يكون البغاء كذلك ؟

أم انك تظن ان ف. يعاملني معاملة افضل لو انه دفع شيئاً عني ؟ ان كان هذا هو سبب عنايته بي فأنا لا اريد الزواج منه لاني والحالة هذه اكون مجرد متاع له بينما انا كائنة بشرية .

لا تصدق ان المال يجعل الزوجة اكثر طاعة وامانة لزوجها . المال، في افضل حالاته، هو سلسلة تعمل عمل البديل في غياب المحبة. الا ان السلسلة يمكن كسرها . ويمكن ارجاع المال والمتاع . اما المحبه فهي الرباط الذي لا ينكسر .

عزيزي بابا ،

ارجو ان لا تظن اننا ناكرا الجميل . كلانا نحبك جداً ونعرف تضحياتك لأجلي ولا سيما ارسالك إياي الى المدرسة . ونعرف ايضاً صعوباتك المادية ولا نريد ان نتركك في حيص بيص .

كل ما نطلبه هو هذا : اسمح لنا ان نبدأ حياتنا دون ديون ، ودعنا نؤسس بيتنا على طريقتنا الخاصة . عندئذ نستطيع ان نساعدك ونعبر لك عن تقديرنا وامتناننا لك .

يرى ف. ان نقبل اخوتي الثلاثة في بيتنا اثناء تلقيهم العلم في ي. أوَليس هذا برهاناً اعظم على محبته لي من اعطائك مالاً ليس له ؟ عزيزي بابا : اعطنا هذه الفرصة واسمح لنا ان نبدأ حياتنا .

ملحق

يسرنا ان نخبركم ان س. وف. قد تزوّجا، فيما بعد، شرعياً. وان والد س. قد وافق، بينما تراجع السيد هـ. عن دعواه. وقد أُجري صلحٌ مع الراعي عاموس.

ارشادات عن الزواج

ان كان ثمة اسئلة شخصية عنـد القارىء فليتفضل ويكتب الى القس ڤالتر تروبيش او السيدة انغريد تروبيش على أحد العناوين التالية :

Pastor Walter Trobisch
Mrs. Engrid Trobisch

68 Manheim	P.O. Box 1192	Yaoundé
Traitteur Str. 60	Kitwe	Box 1133
Germany	Zambia	Cameroun

مراجع مفيدة

في الكتاب المقدس توجد مقاطع كثيرة وهامـة تعالج موضوع الحب والزواج .

العهد القديم

آدم وحواء – سنة الزواج	تك ١:٢٦–٣٠؛٢:١٨–٢٥
اسحق ورفقة – الاختيار	تك ٢٤
تحريم الخيانة	خر ٢٠:١٤–١٧
بوعز وراعوث – جزاء الأمانة	را ٢–٤
داود وبثشبع – الزنى والتوبة	٢ صم ١١:١–١٢؛٢٥

آخاب وايزابل – زواج تعيس	١ مل ١٦: ٢٩–٣٣؛ ٢٢
وخالٍ من الانسجام	٢ مل ٩: ٢٠–٣٧
الحب والسعادة	مز ١٢٨
الاغواء والموت	ام ٥: ١٥–٢٣؛ ٧: ١–٢٧
المرأة الكاملة	ام ٣١: ١٠–٣١
النساء الجاهلات	اش ٣: ١٧–٤: ١
المحبة قوية كالموت	نش ٨: ٦ و٧

العهد الجديد

جسد واحد – تحريم الطلاق	مر ١٠: ١–١٢
المحبة كمحبة المسيح	اف ٥: ٢١–٣٣
أنا لك وأنت لي	١ كو ٧: ١–٥
البقاء عازباً	مت ١٩: ١٠–١٢
الفوضى والتشويش	رو ١: ١٨–٣٢
	١ كو ٥: ١–٥
الشهوة والزنى	مت ٥: ٢٧–٣٠
المحبة الغافرة	يو ٨: ١–١١
النعم الكبرى للمحبة	مت ٢٢: ٣٤–٤٠
المحبة ، الثمرة الاولى للروح	غل ٥: ٢٢
المحبة ، الطريق الأفضل	١ كو ١٣
الله محبة	١ يو ٤: ٧–١٦

صراع المثالية والواقعية ، في العصر الحاضر ، محتدم طويل ، فالشباب يبحثون عن توفيق ما بين ما هو كائـــن وبين ما ينبغي ان يكون ، ولا سيما في مسألة الجنس ٠

٠ ويزيد في الصراع ان طريق المسيح غالباً ما تتحدى كل ترتيـب بشري يظهـر انه مناسب وعملي ٠

وكتاب « أحببت فتاة » يرسم ذلك الصراع بدقة فائقة ، ويظهر الشقة القائمة بين التقليد والتجديد ، مبينا فكر المسيح في التوفيق بين المثـال والواقع ٠

انه يأخذ بيـــد القارىء ويمر به في معارج الامتنان والغضب ، والايمان والشك ، والرجاء واليأس ، مثبتا لله الكلمة الفصل ٠

وتبرز فيه ــ مع انه مجموعة رسائل ــ الدراما الواقعية على افضل ما تكون ٠٠٠ فاذا الحياة مسرح ، والعنصران البارزان هما الخير والشر ، والاشخاص هم الجنس البشري كافـة ، وبينمـا الحياة مسرح ، اذا بنا نرى ظروفها جوا تسبح القصة في ارجائه وتهيم في اجوائه ٠

توزيع : منشورات النفير

ص٠ب ٥٠٣٩ ، بيروت ــ لبنان